الباب الأول

نساء الأنبياء

- نساء ابراهيم ·
- نساء يعقوب ·
- نساء موسى ·
- نساء جدعون ·
- نساء داود ·
- نساء سليمان ·
- نساء هوشع ·
- نساء محمد ·

obeikandl.com

obeikandl.com

نســـاء ابراهيم

ابراهيم هو الأب الروحى لكل المؤمنين بالله : الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل • يتعلق به اليهود والمسيحيون والمسلمون ويفخرون بالانتساب اليه ، وقد طابت ذكراه فى كتبهم المقدسة •

تقول فيه التوراة : « قال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشـيرتك •• الى الأرض التى أريك • فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ، وتكون بركة • وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ــ تكوين ١٢ : ١ ــ ٣ » •

« ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير • • لا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم • لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم• وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما •• وأقيم عهدى بينى وبينـك وبين نسلك من بعـدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنســلك من بعدك ــ تكوين ١٧ : ١ ــ ٧ » •

لقد عاش ابراهيم مائة عام بعد تلقيه أول وحى الهى ، قضاها فى البر واسلام القلب والمشيئة لله • ولمـا بلغت حياته مائة وخمس وسبعين سنة « أسلم ابراهيم روحه**ومات بشيبة صالحة** ــ تكوين ٢٥ : ٨ » •

ويقول الانجيل فى ابراهيم على لســان المسيح : « أقول لكم : ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب **ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات** ــ متى ٨ : ١١ » .

ويقول القرآن فى ابراهيم : ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربـه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين** ﴾ (البقرة : ١٢٤) .

﴿ **ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لانعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم • وآتيناه فى الدنيا حسنة ،**

وانه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين (النحل : ١٢٠ ــ ١٢٣) .

ولقد كان ابراهيم أبو الأنبياء هو الذى اتفقت فى شأنه النصوص المقدسة وقررت أنه خليل الله .

تقول أسفار العهد القديم : « وقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب .. وقال : يارب اله آبائنا . أما أنت هو الله فى السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم .. ألست أنت الهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك اسرائيل وأعطيتها لنسل **ابراهيم خليلك** الى الأبد ــ أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٥ ــ ٧ » .

وتقول أسفار العهد الجديد : « ألم يتبرر أبونا ابراهيم بالأعمال .. فترى أن الايمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الايمان .. فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ، **ودعى خليل الله** رسالة يعقوب ٢ : ٢١ ــ ٢٣ » .

ويقول القرآن : **« ومن أحسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا .** (النساء : ١٢٥)

ذلك هو ابراهيم الذى طابت ذكراه فى الكتب المقدسة : عاش صالحا ومات صالحا . وضمن الحياة الأبدية **« فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »** فما هى أخبار ابراهيم ونسائه الكثيرات ؟

*

من المعلوم أن ابراهيم كان متزوجا بسارة ، أخته من أبيه (تكوين ٢٠ : ١٢) ؛ ثم تزوج هاجر المصرية التى أنجب منها بكره اسماعيل . وبعد أربع عشرة سنة ولدت سارة اسحق الابن الثانى لابراهيم . فجمع ابراهيم بين الزوجتين : سارة وهاجر . ثم ما لبث أن اتخذ ابراهيم سرارى أنجب منهن ذرارى ، سكت الكتبة الاسرائيليون عن أخبارهن واكتفوا باشارة مقتضبة تحرص على جعل جدهم اسحق

هو الوريث الوحيد لابراهيم ، وذلك فى قولهم « **اما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم** فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى ــ تكوين ٢٥ : ٦ » .

واذا أخذنا بتتابع الأحداث وفق روايات التوراة ، نجد أنه بعد موت سارة : « **عاد ابراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة** . فولدت له : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا .

وولد يقشان : شبا ، ودان .

وكان بنو دان : أشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم .

وبنو مديان : عيفة ، وغفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والدعة . جميع هؤلاء : بنو قطورة ــ تكوين ٢٥ : ١ ــ ٤ » .

وتذكر المصادر التاريخية أن ابراهيم تزوج « امرأتين من العرب : احداهما **قنطورا** بنت يقطان (ذكرتها المصادر الاسرائيلية باسم قطورة) فولدت له ست بنين . والأخرى منهما **حجور** بنت ارهير ، فولدت له خمسة بنين . كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس »[1] .

هذا ــ ونريد الآن استقصاء عــدد سرارى ابراهيم اللاتى ذكرن سلفا ، فنقول : تتحدث الفقرة الخاصة بهن عن جماعة من النساء أى أن عددهن يبدأ من ثلاثة فأكثر : والى هنا نقطع بأن ابراهيم قد جمع بين سبع نســاء على أقل تقدير هن : سارة ، وهاجر ، وقطورة ، وحجور وثلاث سرارى . واذا اعتبرنا أن زواج ابراهيم بقطورة وحجور حدث بعد موت سارة التى عاشت ٣٧ سنة بعد مولد ابنها اسحق (تكوين ٢٣ : ١ ، ١٧ : ١٧) فان الوضع يبقى كما هو ، أى : ست نساء زوجات لابراهيم على الأقل .

---

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الأول ــ ص ٣١١

وفى دراسة احصائية مثل هذه ، تبتغى تحديد عدد سرارى ابراهيم، فاننا نستطيع استخدام طريقة « الاستقراء » ، وهى طريقة مستخدمة فى شتى الدراسات الاحصائية ، وخاصة تلك المتعلقة بالأنشطة السكانية ، مع مراعاة العرف السائد فى تلك المنطقة فى العصور القديمة .

تقول **مونيكا بييتر** فى كتابها : « **الوضع النسوى عبر العصور** »(١) عن تعدد الزوجات فى العصر القديم : « ان تعدد الزوجات فى شكله المطلق بدأ يترسخ شيئا فشيئا . فأولاد يعقوب الاثنا عشر ، الذين هم من أمهات مختلفات ، كانوا متساوين فى الحقوق . وقد كان لجدعون سبعون ولدا ، ولعبدون أربعون (٢) ولرحبعام ثمانى عشرة زوجة وستون خليلة ، ولداود تسع زوجات عدا الخليلات . وقد بلغ الشطط أوجه مع سليمان الذى كانت له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ خليلة »(٣) .

من ذلك يتبين أن التسرى بعشر نساء يعتبر عددا مقبولا جدا ومتواضعا ، ونستطيع الأخذ به فى الحالات التى يحدثنا فيها « الكتاب المقدس » عن سرارى لأى رجل ، دون أن يحدد لنا عددهن . وتتدعم صحة هذه الفرضية حين نعلم أن داود حين أراد الهرب من أورشليم ابان الثورة التى قادها ضده ابنه ابشالوم ، فانه : « ترك عشر نساء سرارى لحفظ البيت ـ صموئيل الثانى ١٥ : ١٦ » وهؤلاءكن جزءا من سرارى داود .

مما سبق نخلص الى أن ابراهيم قد جمع فى وقت واحد بين ١٣ امرأة على الأقل .

**

---

(١) نشرته دار الطليعة ببيروت تحت عنوان : المرأة عبر التاريخ وهو ترجمة لكتاب :
LA CONDITION FEMININE A TRAVERS LES AGES, 1976

(٢) جدعون وعبدون كانا من قضاة اسرائيل ، وكذلك كان ابصان « وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة ـ قضاة ١٢ : ٩ » .

(٣) المرجع السابق ـ ص ٣٦

نســاء يعقوب

نقرأ فى بعض الطبعات الحديثة من تراجم **الكتاب المقدس** عناوين فرعية لفقراته ، قصد بها أن تساعد القارىء على تفهم معانى تلك الفقرات وفى واحدة من هذه الطبعات العربية[1] نقرأ هــذا العنوان الفرعى : **مصارعة الله ... !**

ان هذا العنوان يصدم كل مؤمن بالله وخاصة اذا علمنا أن ترجمته عن الفرنسية يجب أن تكون : **يعقوب يصارع الله(٢) ... !**

كيف كان ذلك ؟ !

يروى كتبة التوراة هذا فى حديثهم عن هرب يعقوب وأهل بيته من خاله ــ وحميه ــ قاصدا أرض كنعان ، فيقولون :

« قام فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر .. أخدهم وأجارهم الوادى وأجاز ما كان له .

فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باســمك . فقــال : لمــاذا تســأل عن اســمى ؟ وباركه هنــاك . فدعى يعقــوب اســم المكان : فنئيل ، قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ــ تكوين ٣٢ : ٢٢ ــ ٣٠ » .

---

(١) صدرت عن : دار المشرق ببيروت ــ الجزء الأول من الكتــاب المقدس بعنوان : كتب الشريعة الخمسة ، تعريبــا للترجمة الفرنســية المسكونية .

(٢) النص الفرنسى هكذا : Jacob lutte avec Dieu

وفى تفسير كأنه اعتذار عن هـذه الرواية التى تقرر أن يعقوب أغتصب البركة من الله ، يقول مفسرو **الكتاب المقدس** : « المقصود فى هذه الرواية الغامضة ، هو الصراع الجسـدى ، أى صراع مع الله ، يبدو فيه يعقوب الغالب أولا ، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية ، اغتصب بركته ، مع العلم بأن النص يتجنب اسم الرب ، كما أن المعتدى المجهول يرفض أن يسمى نفسه »[1] .

والآن ما هى اخبار نساء يعقوب هذا الذى اغتصب البركة من رب كتبة التوراة ومن يسيرون على خطاهم الى اليوم ؟

لقد تزوج يعقوب ابنتى خاله : ليئة ، وراحيل ، كما تزوج جاريتيهما: زلفة ، وبلهة . « وكان بنو يعقوب اثنى عشر :

بنو ليئة : رأوبين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون .

وابنا راحيل : يوسف ، وبنيامين .

وابنا بلهة جارية راحيل : دان ، ونفتالى .

وابنا زلفة جارية ليئة : جاد ، وأشير ـ تكوين ٣٥ : ٢٣ ـ ٢٦ » .

كما أن ليئة : « ولدت ابنـة ودعت اسـمها : دينة ـ تكوين ٣٠ : ٢٠ » .

وهكذا جمع يعقوب فى وقت واحد بين ٤ زوجات ، ومنهن جاء بنو اسرائيل أصحاب التاريخ المعروف ...

**

(١) المرجع السـابق ـ ص ١١٨

نســـاء موسى

تربى موسى فى كنف فرعون ولمـــا كبر عوده واشتد « رأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته • فالتفت الى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد ، فقتل المصرى وطمره فى الرمل ••

سمع فرعون هـــذا الأمر فطلب أن يقتل موسى • فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر ••

وكان لكاهن مديان سبع بنات •• نهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن • فلما أتين الى رعوئيل أبيهن •• قلن : رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة •• فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل • فأعطى موسى **صفورة** ابنتـــه • فولدت ابنا فدعا اســـمه جرشـــوم ــ خروج ٢ : ١١ ــ ٢٢ » •

لقد ذكر اسم حمى موسى هنا بأنه : رعوئيل كاهن مدين ، وذكر فى مواضع أخرى بأسماء مختلفة مثل : يثرون ، وحوباب القينى • وفى هـــذا يقول مفسرو **الترجمة الفرنسية المسكونية** : « لا تتفق النصوص على اسم حمى موسى وشخصيته • فالنص الذى نحن بصدده يذكر رعوئيل ، كاهن مدين • وفى (سفر التكوين) ٣ : ١ ، ٤ : ١٨ ، ١٨ : ١ نرى أن اســـمه يثرو (أو يثرون) • ويتكلم ســـفر العدد ١٠ : ٢٩ عن حوباب بن رعوئيل المدينى ، بينما يتكلم سفر القضاة ١ : ١٦ ، ٤ : ١١ عن حوباب القينى • وفى سفر العدد ١٠ : ٢٩ محاولة للتوفيق بين التقليدين : زواج قينى وزواج مدينى • يتضارب فى الواقع هذان التقليدان ، ولا حاجة الى التوفيق بينهما »[1] •

*

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٥٥

لقد كان المتوقع أن تكون أخبار موسى العائلية أكثر وضوحا من أخبار جده الأكبر يعقوب ، لكن الواقع أن الغموض الذى يحيط بسيرته كثيف من جميع الجوانب ، مما دفع علماء الكتاب المقدس الى الاعتراف صراحة بعدم امكانية فهم كثير من النصوص .

فبعد أن تلقى موسى الرسالة فى سيناء « **أخذ موسى امرأته وبنيه** وأركبهم على الحمير ورجع الى أرض مصر . وأخذ موسى عصا الله فى يده .. وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله . فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجليه . فقالت : انك عريس دم لى . فانفك عنه . حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان ــ خروج ٤ : ٢٤ ــ ٢٦ » .

وفى هذا يقول المفسرون تعليقا على هذه الرواية أنها : « **رواية غامضة** بسبب اقتضابها ، وعدم وجود أى سياق فى الكلام . لا يسمى موسى : **ولا نعلم الى من تعود الضمائر** . يجوز التكهن والقول بأن : قلف موسى (باعتباره لم يكن قد ختن) يجلب عليه غضب الله ، وان هذا الغضب سكن حين ختنت صفورة ابنها وتظاهرت بختن موسى فلمست عورته بقلفة الولد »[1] .

فكأن امرأة موسى خدعت رب موسى بتلك الحيلة !

واذا كان الحديث فى الرواية السابقة قد ذكر ابنا واحدا لموسى يدعى جرشوم ، فقد جاء ذكر ابن آخر له يدعى اليعازر (خروج ١٨ : ٤) وذلك عند الحديث عن مجىء « يثرون حمى موسى وابناه وامرأته الى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله (بعد الخروج بنى اسرائيل من مصر) ــ خروج ١٨ : ٥ » .

*

وفى برية سيناء ــ بعد الخروج من مصر ــ **تزوج موسى من** امرأة كوشية وعمره آنذاك نحو ٩٠ عاما ، فانتقده بسببها أقرب الناس

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٥٩

اليه وهما : هارون أخوه ، ومريم أخته • وهنا تدخل الله ليدافع عن موسى ويعاقبهما لولا شفاعة موسى •

وفى هـذا تقول التوراة :

« تكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية (الحبشية) التى اتخذها • لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية • فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟! ألم يكلمنا أيضا ؟! فسمع الرب • وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض •

فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة الى خيمة الاجتماع •

فخرجوا هم الثلاثة • فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما •

فقال : اسمعا كلامى • وان كان منكم نبى فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه • وأما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى •

فما الى فم ، وعيانا أتكلم معه ، لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين • فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى •

فحمى غضب الرب عليهما ، ومضى •

فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة ، اذا مريم برصاء كالثلج • فالتفت هارون الى مريم واذا هى برصاء •

فقال هارون لموسى : أسألك ياسيدى لا تجعل علينا **الخطية التى حمقنا واخطانا بها** • فلا تكن كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه • فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم اشفها •

فقال الرب لموسى : ولو بصق أبوها بصقا فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام • تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع •

فحجزت مريم خـارج المحلة سـبعة أيام ـ سـفر العدد ١٢ : ١ ـ ١٥ » •

ان هـذا التعليم الالهى المجيد ، دفاعا عن موسى ومباركة لزواجه الثانى ، انما هو اعلان للبشر عبر القرون ونذير سوء للحمقى منهم ، الذين لا يخشون أن يتكلموا بسوء على عبيد الله من الأنبياء وخاصـة أولى العزم أصـحاب الرسالات الكبرى ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وقاتلوا فى سـبيله وتعرضوا للأهوال والمحن ، وأحاط بهم الموت من كل مكان حتى كتب الله لهم النصر ، فأخرجوا أمما من الظلمات الى النور •

*

ذلك بعض ما كان من أمر موسى ذى الزوجتين : المدينية والحبشية •

* *

نســـاء جدعون

هو فتى اسرائيل وقاضيها الذى اختاره الله ــ بعد موسى ويشوع ــ ليخلص شـــعبه من ذل المديانيين والكعنانيين : « اذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم • وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا •• فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين • وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ــ قضاة ٦ : ٣ ــ ٦ » •

وقد كلمه الله مرارا ــ عن طريق ملائكته وفى الرؤى والأحلام ــ وأرسله ليخلص اسرائيل من سطوة أعدائهم : « فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك ياجبار البأس •

فقال له جدعون : أسألك ياسيدى • اذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ، وأين كل عجائبه •• الآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان •

فالتفت اليه الرب وقال : اذهب بقوتك هـــذه وخلص اسرائيل من كف مديان • أما أرسلتك ؟!

فقال له : أسألك ياسيدى • بماذا أخلص اسرائيل ؟ ••

فقـــال له الرب : انى أكون معك ، وستضرب المديانيين كرجل واحد ــ قضاة ٦ : ١١ ــ ١٦ » •

ولقـــد كان الرعب الذى أوقعه المديانيون بالاسرائيليين يفـــوق الوصف حتى ان جدعون سخر من نفسه أن يكون هو مخلص اسرائيل• ولذلك عمل تجربتين ليتأكد من أن الله يكلمه فعلا •

ففى التجربة الأولى قال للملاك : « ان كنت وجدت نعمة فى عينيك

فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى » • وكانت العلامة أن يقدم جدعون قربانا ، « فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير • وذهب ملاك الرب عن عينيه •

فرأى جدعون أنه ملاك الرب ، فقال جدعون : آه ياسيدى الرب ! لأنى قد رأيت ملاك الرب وجها لوجه •

فقال له الرب : السلام لك • لا تخف • لا تموت ــ قضاة ٦ : ١٧ ــ ٢٣ » •

وكانت التجربة الثانية حين « قال جدعون لله : ان كنت تخلص بيدى اسرائيل كما تكلمت ، فها انى واضع جزة الصوف فى البيدر : فان كان طل على الجزة وحدها وجفاف على الأرض كلها ، علمت أنك تخلص بيدى اسرائيل ، كما تكلمت •

وكان كذلك • •

فقال جدعون لله : لا يحم غضبك على ، فأتكلم هذه المرة فقط • امتحن هذه المرة فقط بالجزة : فليكن جفاف فى الجزة وحده ، وعلى كل الأرض ليكن طل •

ففعل الله كذلك فى تلك الليلة ــ قضاة ٦ : ٣٦ ــ ٤٠ » •

« ولبس روح الرب جدعون » فخلص بنى اسرائيل من سطوة المديانيين » • « وذل مديان أمام بنى اسرائيل ، ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم • واستراحت الأرض أربعين سنة فى أيام جدعون ــ قضاة ٦ : ٣٤ ، ٨ : ٢٨ » •

ولقد حاول بنو اسرائيل تنصيبه ملكا عليهم ، وأن يكون الملك وراثة فى نسله من بعده ، لكنه أبى ، وبقى مخلصا لله • فقد « قال رجال اسرائيل لجدعون : تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان •

فقال لهم جدعون : لا أتسلط أنا عليكم ، ولا يتسلط ابنى عليكم • الرب يتسلط عليكم ــ قضاة ٨ : ٢٢ ــ ٢٣ » •

وأخيرا « **مات جدعون بن يوآش بشيبة صالحة** ــ قضاة ٨ : ٣٢ » ، تماما كميتة جده الأكبر ابراهيم (تكوين ٢٥ : ٨) •

وعن أخبار نسائه تقول الأسفار : « **كان لجدعون سبعون ولدا خارجون من صلبه ، لأن كانت له نساء كثيرات** . • وسريته التى فى شكيم ولدت له هى أيضا ابنا فسماه أبيمالك ــ قضاة ٨ : ٣٠ ــ ٣١ »•

وفى استقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده ، نقول : أنجب ابراهيم ١٣ ولدا من ٤ نساء ، هن : هاجر ، وسارة ، وقطورة ، وحجور • فيكون المتوسط التقريبى = ٣ أولاد لكل امرأة •

كذلك : أنجب يعقوب ١٢ ولدا من ٤ نساء •

فيكون المتوسط = ٣ أولاد لكل امرأة •

ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولدا : اذن ، يكون عدد نساء جدعون لا يقل عن ٢٣ امرأة ، وهو ما يتفق والنص الذى يقول : « **كانت له نساء كثيرات** » .

* *

نســاء داود

هو فخر الاسرائيلين ، « جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ، ورجل جميل ، **والرب معه** ــ صموئيل الأول ١٦ : ١٨ » • اختاره الله مسيحا له « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط اخوته • وحل **روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا** ــ صموئيل الأول ١٦ : ١٣ »•

ولمــا جاء المسيح بعد داود بألف عام ، كان الذين آمنوا به من بنى اسرائيل ــ **وهم المسيحيون حقا** ــ يدعونه ابن داود ، تكريما له واقرارا بنبوته وبركاته • فها هو بارتيماوس الأعمى « لمــا سمع أنه يســوع النــاصرى ، ابتــدأ يصرخ ويقــول : يا يســوع بن داود ارحمنى • فانتهره كثيرون ليسكت • فصرخ أكثر كثيرا : يابن داود ارحمنى •

فوقف يســوع وأمر أن ينادى •• وجاء الى يســوع • فأجاب يســوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : ياســيدى أن أبصر •

فقال له يســوع : اذهب • ايمانك قد شــفاك • فللوقت أبصر وتبع يســوع فى الطريق ــ مرقس ١٠ : ٤٧ ــ ٥٢ » •

وفى دخوله أورشــليم « كثيرون فرشــوا ثيابهم فى الطريق • وآخرون قطعوا أغصــانا من الشجر وفرشــوها فى الطريق • والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا • **مبارك الآتى باسم الرب • مبــارك مملكة أبينــا داود الآتية باسم الرب** ــ مرقس ١١ : ٨ ــ ١٠ » •

وداود عنــد المســلمين نبى عظيم : ﴿ **آتــاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشــاء** ﴾ (البقرة : ٢٥١) •

لقد كان داود يكلم الله ويستشيره ، وكان الله يكلم عبده ونبيه داود ، وينبئه بأمر المستقبل ، فيسير داود على هديه ويحقق النصر • فقد « أخبروا داود قائلين : هو ذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر • **فسأل داود من الرب قائلا : أأذهب واضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟**

فقال الرب لداود : اذهب واضرب الفلسطينيين ، وخلص قعيلة •

فقال رجال داود له : ها نحن ههنا فى يهوذا خائفون ، فكم بالحرى اذا ذهبنا الى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين !

فعاد ايضا داود وسأل من الرب ، فأجابه الرب وقال : قم انزل الى قعيلة فانى أدفع الفلسطينيين ليدك •

فذهب داود ورجاله الى قعيلة ، وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة ، وخلص داود سكان قعيلة ــ صموئيل الأول ٢٣ : ١ ــ ٥ » •

وتكررت استشارة داود لربه مرات ومرات • وقد « كان بعد ذلك **ان داود سأل الرب قائلا : أأصعد الى احدى مدائن يهوذا ؟**

فقال له الرب : أصعد • فقال داود : الى أين أصعد ؟

فقال : الى حبرون •

فصعد داود الى هناك •• وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا ــ صموئيل الثانى ٢ : ١ ــ ٤ » •

بعد ذلك « سأل داود من الرب قائلا : أأصعد الى الفلسطينيين ؟ أتدفعهم ليدى ؟ • فقال الرب لداود : اصعد لأنى دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك •

فجاء داود الى بعل فراصيم وضربهم داود هناك •• وتركوا هناك أصنامهم فنزعها داود ورجاله •

ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا فى وادى الرفائيين •

فسأل داود من الرب ، فقال : لا تصعد ، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا • وعندما تسمع صوت خطوات فى رؤوس أشجار البكا حينئذ احترس لأنه اذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين • ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب الفلسطينيين من جبع الى مدخل جازر ــ صموئيل الثانى ٥ : ١٩ ــ ٢٥ » •

ولقد استمر داود صاحب درجة عليا عند الله ومسيحا رضى الله عنه حتى آخر أيام حياته • « فهذه هى كلمات داود الأخيرة :

وحى داود بن يسى ، ووحى الرجل القائم فى العلا ، مسيح اله يعقوب ، ومرنم اسرائيل الحلو • روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى • قال اله اسرائيل الى : اذا تسلط على الناس بار ، يتسلط بخوف الله ، وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس ــ صموئيل الثانى ٢٣ : ١ ــ ٣ »•

والآن : ما هى أخبار داود ونسائه ؟

*

ميكال ابنة شاول : ارتفع نجم داود بعد أن قتل جالوت (جليات الفلسطينى) « فجعله شاول على رجال الحرب ، وحسن فى أعين جميع الشعب ، وفى أعين عبيد شاول أيضا • فلما رأى شاول أنه مفلح جدا ففزع منه » لقد خاف شاول أن ينتزع داود المملكة منه ، فتربص به ، وأخيرا اهتدى الى حيلة ماكرة وهى أن يزوجه ابنته بمهر هو ١٠٠ غلفة من الفلسطينيين • فيكون على داود أن يحارب الفلسطينيين ويقتل منهم ١٠٠ رجل على الأقل ثم يقطع غلفة كل منهم ــ أى : غلاف مقدمة عضو الذكورة ــ ويأتى بها مهرا • وهناك يتعرض داود لخطر محقق ، فقد يقضى عليه الفلسطينيون • وبذلك يتخلص منه شاول بسهولة : « وميكال ابنة شاول أحبت داود ، فأخبروا شاول ، فحسن الأمر فى عينيه • وقال شاول : أعطيه اياها ، فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه ••

فقال شاول : هكذا تقولون لداود • ليست مسرة الملك بالمهر ، بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك •

قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم (٢٠٠ غلفة) فأكملوها للملك لمصاهرة الملك • فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة ــ صموئيل الأول ١٨ : ٢٠ ــ ٢٧ » •

ولما ساءت الأمور بين شاول وداود ، لم يلبث شاول أن فسخ زواج ابنته من داود وزوجها لشخص آخر : « أعطى شاول ميكال ابنته ، امرأة داود ، لفلطى بن لابش الذى من جليم ــ صموئيل الأول ٢٥ : ٤٤ » •

وكان بعد مقتل شاول أن استعاد داود زوجته ميكال ثانية • فحين انقلب أبنير رئيس جيش شاول على ابنه ايشبوشث الذى نصبه ملكا خلفا لأبيه بسبب احدى سرارى شاول « أرسل أبنير من فوره رسلا الى داود قائلا : لمن هى الأرض ؟ يقولون اقطع عهدك معى وهو ذا يدى معك لرد جميع اسرائيل اليك •

فقال (داود) : حسنا • أنا أقطع معك عهدا ، الا أنى أطلب منك أمرا واحدا وهو ألا ترى وجهى ما لم تأت أولا بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهى • وأرسل داود رسلا الى ايشبوشث بن شاول يقول : أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لنفسى **بمائة غلفة من الفلسطينيين فأخذها ايشبوشث واخذها من عند رجلها ، من فلطيئيل بن لابش • وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها** ــ صموئيل الثانى ٣ : ١٢ ــ ١٦ »

*

ابيجايل امراة نابال الكرملى : عمل داود فترة قاطع طريق يفرض اتاوة على الناس حوله ويرعبهم بعصابته ذات الست مائة مقاتل • وحين كان نابال الكرملى يجز غنمه أرسل داود يطلب منه دفع الاتاوة ، لكن الرجل رفض فما كان من داود الا أن خرج اليه فى عصابته يريد قتله

وكل بيتـــه . ولم يوقف هـــذه المجزرة الا تدخل امرأته أبيجايل . وبعد عشرة أيام مات نابال فلم يلبث داود أن أخذها زوجة له . وفى هذا تقول الأسفار : « كان رجل فى معون وأملاكه فى الكرمل وكان الرجل عظيما جدا .. واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل . **وكانت المراة جيدة الفهم وجميلة الصورة** .... سمع داود فى البرية أن نابال يجز غنمه فأرسل داود عشرة غلمان وقال .... قولوا لنابال : حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل .... فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود .... فأجاب نابال عبيد داود وقال : من هو داود ؟ .... آآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ !

فقال داود لرجاله : ليتقلد كل واحد منكم سيفه .... وتقلد داود أيضا ســـيفه . وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مئتان مع الأمتعـــة ..

فبادرت أبيجايل وأخذت مئتى رغيف خبز وزقى خمر وخمســـة خرفان .... ووضعتها على الحمير .... واذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها فصادفتهم .

وقال داود : انما باطلا حفظت كل ما لهذا فى البرية فلم يفقد من كل ماله شيء ، فكافأنى شرا بدل خير . **هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد ان أبقيت من كل ما له الى ضوء الصباح بائلا بحائط(١)** .

ولمـــا رأت أبيجايل داود أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود على وجهها وســـجدت الى الأرض وسقطت على رجليه وقالت :

(١ كناية عن قتل جميع الأنفس الحية اذ كان من عادتهم ــ التى لا تزال معمولا بها فى المناطق الريفية النائية الى اليوم ــ ان يتبول الذكور على حـــوائط المبـــانى المنعزلة ، كمـــا تتخـــذ الاناث من تلك الحوائط ســـتارا لهن .

على أنا ياسيدى هذا الذنب .... والآن هذه البركة التى أتت بها جاريتك الى سيدى فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى ..

فقال داود لأبيجايل : مبارك الرب اله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم .... لأنك منعتنى من اتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى ..

وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات . فلما سمع داود أن نابال مات .... أرسل داود وتكلم مع أبيجايل ليتخذها له امرأة ..

فقامت أبيجايل .... وسارت وراء رسل داود وصارت له امرأة ـ صموئيل الأول ٢٥ : ٢ ـ ٤٢ » .

*

اخينوعم اليزرعيلية : « ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل ، فكانتا (هى وأبيجايل امرأة نابال الكرملى) له كلتاهما امرأتين ـ صموئيل الأول ٢٥ : ٤٣ » .

وكان ذلك قبل أن يستعيد داود امرأته السابقة ميكال بنت شاول بعد مقتل أبيها .

هذا ، وقد « سبيت امرأتا داود : أخينوعم اليزرعيلية ، وأبيجايل امرأة نابال الكرملى » فى غارة للعماليق ، لكن داود ضربهم « واستخلص كل ما أخذه عماليق وانقذ داود امرأتيه ـ صموئيل الأول ٣٠ : ٥ ، ١٨ » .

*

معكة بنت تلماى ملك جشور ، وحجيث ، وابيطال ، وعجلة : هؤلاء الزوجات الأربع ، اضافة الى أخينوعم وأبيجايل ولدن لداود فى حبرون ستة أولاد هم :

« بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية ، وثانيه كيلاب من أبيجايل امرأة نابال الكرملى ، والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماى ملك جشور ، والرابع أدونيا ابن حجيث ، والخامس شفطيا ابن أبيطال ، والسادس يثرعام من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا لداود فى حبرون ـ صموئيل الثانى ٣ : ٢ ـ ٥ » .

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد الى يوم موتهـا ـ صموئيل الثانى ٦ : ٢٣ » .

*

بعد ذلك بويع داود ملكا على كل اسرائيل فانتقل من حبرون الى أورشليم وبدأ ملكه فى الاستقرار ، وهناك كانت له مع النساء صولات وجولات . وقد استمر يضيف الى قائمة نسائه الكثير حتى آخر أيام حياته .

« جاء جميع أسباط اسرائيل الى داود الى حبرون .... ومسحوا داود ملكا على اسرائيل .

كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة . فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر . وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع اسرائيل ويهوذا . وذهب الملك ورجاله الى أورشليم .... وكان داود يتزايد متعظما ، والرب اله الجنود معه ـ صموئيل الثانى ٥ : ١ ـ ١٠ » .

*

بشبع امراة اوريا الحثى : « كان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك **فراى من على السطح امراة تستحم . وكانت المراة جميلة المنظر جدا** . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه بثشبع امرأة أوريا الحثى (أحد جنوده) .

فأرسل داود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها . وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت الى بيتها . وحبلت المرأة ، فأرسلت وأخبرت داود وقالت : انى حبلى .

فأرسل داود الى يوآب (قائد الجيش) يقول : أرسل الى أوريا .. فأتى أوريا اليه .... وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجليك

(لعله يضطجع مع امرأته فتضيع معالم جريمة الزنا ويعتبر الحمل من أوريا نفسه) .. فخرج أوريا من بيت الملك .. ولم ينزل الى بيته . فأخبروا داود .. فقال لأوريا : أما جئت من السفر . فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود (بشهامة الرجال) : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ..

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء .... والى بيته لم ينزل .

(وهنا لم يجد داود بدا من التآمر عليه بقتله فى الحرب) وفى الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب يقول : **اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت** .

وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه .... ومات أوريا الحثى ..

فأرسل يوآب وأخبر داود .. فقال داود للرسول : هكذا تقول **ليوآب : لا يسؤ فى عينيك هذا الآمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك** ..

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ، ندبت بعلها . ولما مضت المناحة ، **ارسل داود وضمها الى بيته وصارت له امراة وولدت له ابنا** . وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب ــ صموئيل الثانى ١١ : ١ ــ ٢٧ » .

وكانت هذه الزوجة هى التى أنجب منها داود ــ فيما بعد ــ **سليمان الحكيم !**

*

ولا شك فى أن هذه الرواية تتنافى مع عظمة الأنبياء التى يحرص الاسلام على اثباتها لهم .. وقد جاء فى تفسير القرطبى فيما نقله عن السدى : أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لو سمعت رجلا يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرما لجلدته ستين ومائة ، لأن حد قاذف الناس ثمانون ، وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة ..

وقد أثنى الله تعالى على داود عليه السلام : ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ (سورة ص : ٢٠) .

*

سرارى داود ونسائه فى أورشليم : « علم داود أن الرب قد أثبته ملكا على اسرائيل ، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه اسرائيل . **واخذ داود ايضا سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد ايضا لداود بنون وبنات** ـ صموئيل الثانى ٥ : ١٢ ـ ١٣ » .

ويمكن استقراء عدد نساء داود فى أورشليم كالآتى :

ملك داود فى حبرون على سبط يهوذا مدة نحو سبع سنين كانت معه ست زوجات ، أى بمعدل متوسط نحو زوجة جديدة كل سنة . ولما انتقل داود الى أورشليم ملكا على كل اسرائيل كان عمره نحو سبعة وثلاثين سنة ، وقد بدأت المملكة تستقر « وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه ـ صموئيل الثانى ٧ : ١ » فمن المتوقع أن يستمر معدل اضافة الزوجات الجدد كما كان سلفا ، أى زوجة جديدة كل سنة . واذا أخذنا عامل السن فى الاعتبار ، فاننا نستطيع تقسيم مدة حياته فى أورشليم ـ التى بلغت ثلاثا وثلاثين سنة ـ الى ثلاث فترات تبلغ كل منها احدى عشرة سنة ، ويكون المعدل المقبول لكل من هذه الفترات هو اضافة زوجة جديدة كل سنة للفترة الأولى ، واضافة زوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية ، واضافة زوجة جديدة كل ثلاث سنوات للفترة الثالثة والأخيرة .

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللائى أخذهن فى أورشليم = ٢٠ زوجة على الأقل .

كذلك يمكن استقراء عدد السرارى اللائى كن فى حضن داود فى أورشليم كالآتى :

فى الثورة التى قادها أبشالوم من حبرون ضد أبيه داود : « كان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم .... فقال داود لجميع عبيده الذين معه فى أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة (أورشليم) بحد السيف . فقال عبيد الملك للملك : حسب كل ما يختاره سيدنا الملك نحن عبيده .

فخرج الملك وجميع بيته وراءه . **وترك الملك عشر نساء سرارى لحفظ البيت** — صموئيل الثانى ١٥ : ١٢ — ١٦ » .

لقد كانت أورشليم عاصمة مملكة داود على وشك الاجتياح بقوات أبشالوم الضخمة التى قيل فيها : « ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء أبشالوم » ، ومن ثم كان على داود ألا يبقى لحفظ بيته الا أقل القليل من النساء ، باعتبار أن أسرهن بيد الثوار صار مؤكدا . واذا قدرنا أن ذلك العدد من نساء حفظ البيت لا يتجاوز ربع سرارى داود ، كان معنى ذلك :

ان مجموع سرارى داود لا يقل عن ٤٠ سرية .

*

وجدير بالذكر أن السرارى العشر اللائى تركهن داود فى أورشليم لحفظ بيته ، قد وقعن فى أسر أبشالوم والثائرين معه ، كما كان متوقعا . وهناك أشار حكيم اسرائيل على أبشالوم أن يزنى بسرارى أبيه اغاظة فيه وقطعا لكل صلة طيبة معه .

« قال أبشالوم لأخيتوفل : **أعطوا مشورة ماذا نفعل** . فقال أخيتوفل لأبشالوم : **ادخل الى سرارى ابيك اللواتى تركهن لحفظ البيت** ، فيسمع كل اسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك ، فتتشدد أيدى جميع الذين معك .

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل .

وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله . هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعا ــ صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ ــ ٢٣ » .

هدا ــ وبعد مقتل أبشالوم وانتهاء ثورته ضد أبيه ، « جاء داود الى بيته فى أورشليم وأخذ الملك النساء السرارى العشر اللواتى تركهن لحفظ البيت **وجعلهن تحت حجز ، وكان يعولهن ، ولكن لم يدخل اليهن ، بل كن محبوسات الى يوم موتهن فى عيشة العزوبة** ــ صموئيل الثانى ٢٠ : ٣ » .

*

ابيشج الشونمية : « شاخ الملك داود . تقدم فى الأيام . وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ .

فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على **فتاة عذراء** فلتقف أمام الملك ، **ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك .**

فتشوا على **فتاة جميلة** فى جميع تخوم اسرائيل ، فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك .

وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك ، وكانت تخدمه ، ولكن الملك لم يعرفها ــ الملوك الأول ١ : ١ ــ ٤ » .

* *

مما سبق جميعه نخلص الى الآتى :

ــ كان لداود ٩ زوجات ينمن فى حضنه ، وأنجب من أغلبهن ذرية، وقد ذكرت أسماؤهن فى الأسفار وهن :

ميكال ابنة شاول ــ وأبيجيل امرأة نابال الكرملى ــ وأخينوعم اليزرعيلية ــ ومعكة بنت تلماى ملك جشور ــ وحجيث ــ وأبيطال ــ وعجلة ــ وبثشبع امرأة أوريا الحثى ــ وأبيشج الشونمية .

واذا كانت الأسفار قد قالت عن أبيشج أن داود لم يعرفها ، أى لم يعاشرها معاشرة الأزواج ، فما ذلك الا لأنه قد : « شاخ داود وشبع أياما ــ اخبار الأيام الأول ٢٣ : ١ » ، أما هى فقد كانت حاضنته ، يداعبها وتداعبه

ــ كان لداود زوجات أخريات من أورشليم صمتت الأسفار عن ذكرهن وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة •

ــ كان لداود سرارى لا يقل عددهن عن ٤٠ سرية •

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة ، و ٤٠ سرية ، اى ٦٩ امراة •

وهذا تقدير معقول يعضده قول الرب لناثان النبى الذى أرسله لداود ، لكى يضرب له مثلا يبين حجم جريمته ، اذ قال له : « كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير • **وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا** • وأما الفقير فلم تكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ••• ــ صموئيل الثانى ١٢ : ١ ــ ٢ » •

لقد كان لداود ــ اذن ــ **نساء كثيرة جدا** •••

بل ان حساب ٦٩ امراة لداود يعتبر رقما متواضعا اذا قورن بما كان عليه الحال فى زمنه وأسرته •

فقد كان لابنه سليمان زوجات وسرارى بالمئات ، كما كان لحفيده ــ رحبعام بن سليمان ــ زوجات وسرارى بالعشرات • وفى هذا الأخير تقول الأسفار : « أحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه • **لأنه اتخذ ثمانى عشرة امراة ، وستين سرية** ، وولد ثمانية وعشرين ابنا ، وستين ابنة ــ أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١» •

* *

نســـاء سليمان

بعد أن استقر الملك لداود ، عزم على بناء بيت لعبادة الله وكلم ناثان النبى الذى رحب بالفكرة . ولكن « فى تلك الليلة كان كـــلام الرب الى ناثان قائلا : اذهب وقل لعبدى داود .... قد أرحتك من جميع أعدائك . والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا .

متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نســلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . **هو يبنى بيتا لاسمى ، وانا اثبت كرسى مملكته الى الأبد .**

انـــا اكون لـــه ابا وهو يكون لى ابنا . ان تعوج أؤدبـــه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول الذى أزلته من أمامك ويأمن بيتك ومملكتك الى الأبد أمامك . كرسيك يكون ثابتا الى الأبد ــ صموئيل الثانى ٧ : ٤ ــ ١٦ » .

وعندما شاخ داود « دعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتا للرب اله اسرائيل . وقال داود : كان الى كلام الرب قائلا .... هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه **لأن اسمه يكون سليمان . فأجعل سلاما وسكينة فى اسرائيل فى ايامه** . هو يبنى بيتا لاسمى ، وهو يكون لى ابنا وأنا له أبا ، **واثبت كرسى ملكه على اسرائيل الى الابد** ــ أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ ــ ١٠ » .

*

وجدير بالذكر أن هذا القول الخطير الذى ذكره سفر أخبار الأيام الأول عن سليمان : « هو يكون لى ابنا ، وأنا له أبا » ، لم يذكر أنه قيل للمسيح الا نصفه فقط ، حسب زعم كتبة الأناجيل .

فيذكر انجيل متى أن المسيح بعد أن اعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن . « اذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل

حمامة وآتيا عليه • وصوت من السماء قائلا : **هو ذا ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ٣ : ١٦ ــ ١٧ » •

وقد أوردها انجيل مرقس بطريقة مخالفة ، فالخطاب هنا موجه الى المسيح ، بدلا من الحديث عنه بضمير الغائب ، كما فى متى : « وكان صوت من السماء • **انت ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ١ : ١١ » •

وقد أوردها لوقا بطريقة تقترب من مرقس مع خلاف أيضا ، فقال : « **انت ابنى الحبيب بك سررت** ــ ٣ : ٢١ » •

فقول مرقس : « **الذى به سررت** » ؛ غيره لوقا الى : « **بك سررت** »

*

هذا ، ولقد كان سليمان نبيا يكلمه الله فى الرؤى والأحلام • وقد « تشدد سليمان بن داود على مملكته ، وكان الرب الهه معه وعظمه جدا ••

فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له : اسأل ماذا أعطيك • فقال سليمان لله : انك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه •••• فأعطنى الآن حكمة ومعرفة لأخرج امام هذا الشعب وأدخل• فقال الله لسليمان : من أجل أن هذا كان فى قلبك ، ولم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة ولا أنفس مبغضيك ، ولا سألت أياما كثيرة ، بل انما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى الذى ملكتك عليه ، قد أعطيتك حكمة ومعرفة ، وأعطيك غنى وأموالا وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك ــ أخبار الأيام الثانى ١ : ١ ــ ١٢ » •

«ولما أكمل سليمان بناء بيت الرب•••• **ان الرب تراءى لسليمان ثانية** •••• وقال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى •

قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه الى الأبد ، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام ــ الملوك الأول ٩ : ١ ــ ٣ » •

« **وأعطى الله سليمان حكمة ، وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذى على ساطىء البحر** . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق .. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته ـ الملوك الأول ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ » .

والآن ـ ما هى اخبار نساء سليمان الذى حظى بتلك المكانة العظيمة عند الله والناس ؟

يقول كتبة الأسفار : « **احب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة** مع بنت فرعون : موآبيات ،وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات . ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل : لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السرارى ، فاماات نساؤه قلبه .

وكان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء : عشتورث الاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولملوك رجس بنى عمون . **وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .**

فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب ـ الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٠ » .

لقد جعل كتبة الأسفار سليمان كافرا فى « زمان شيخوخته » ، والعياذ بالله ! ولم يكن العيب فى تعدد نسائه اللاتى بلغن ١٠٠٠ امرأة ، انما كان العيب ومكمن الخطر هو فى اختياره اياهن من الوثنيات اللاتى لا تعرفن الاله الواحد الحق رب اسرائيل .

وجدير بالذكر أن القرآن قد برأ سليمان من تلك التهمة الظالمة الخطيرة التى ألحقها كتبة الأسفار به ؛ واعتبرها حديث شياطين ، فقال : ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

obeikandl.com

نســاء هوشــع

« أول ما كلم الرب هوشع ، قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ؛ لأن الأرض قد زنت تاركة الرب .

فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم ، فحبلت وولدت ابنا . فقال له الرب : ادع اسمه يزرعيل ..

ثم حبلت أيضا وولدت بنتا ، فقال له : ادع اسمها لورحامة ، لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا ..

ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنا ، فقال : ادع اسمه لوعمى ، لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم ــ هوشع ١ : ٢ ــ ٩ » .

بعد ذلك يقول هوشع وحيا من الله : « قال الرب لى : اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية ، كمحبــة الرب لبنى اسرائيل وهم ملتفتون الى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب .

فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير . وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل ، وأنا كذلك لك ــ هوشع ٣ : ١ ــ ٣ » .

❊

لقد نقض هوشع ــ أو بالأحرى كتبة الأسفار الذين نسبوا هذه الفواحش اليه ــ تعاليم التوراة التى تحرم على الكاهن الزواج من الزانية بل ومن الأرملة والمطلقة . فمن باب أولى أن يحرم ذلك على كل نبى يدعى أنه يتلقى وحى الله .

فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هرون وقل لهم .... **امرأة زانية او مدنسة لا يأخذوا** ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها .... والكاهن الأعظم .... هذا يأخذ امرأة عذراء . أما الأرملة والمطلقة **والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ** ــ لاويين ٢١ : ١ ــ ١٤ » .

وحقا يقول القرآن لهؤلاء المفترين : ﴿ **ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون** ﴾ (الأعراف : ٢٨) .

لقد كان هذا هو خبر هوشع النبى صاحب الزوجتين الزانيتين !

❊ ❊

نســاء محمد

خديجة بنت خويلد : « كانت خديجة ابنة خويلد أوسـط نسـاء قريش نسبا وأعظمهم شرفا ، فهى ابنة خويلد بن أسـد بن عبد العزى ابن قصى .. وأمها فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن رواحة ..

تزوجت وهى بكر (مرتين قبل محمـد) ، كان الأول هو عتيق ابن عابد بن عبد الله فولدت له (ابنة) ، ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباش بن زرارة فولدت له (ابنا يدعى هالة ، وابنة تدعى هند) ثم هلك عنها ..

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات مال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه . وكانت قريش قوما تجارا . فلما بلغهـا عن رسـول الله ﷺ مـا بلغهـا من صـدق حديثـه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت اليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرا الى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها وخرج فى مالها ذلك ، ومعه غلامها ميسرة حتى قـدم الشـام . . ثم باع رسول الله ﷺ سـلعته التى خرج بهـا ، واشترى مـا أراد أن يشترى . ثم أقبـل قافلا الى مكة ومعـه ميسرة .. فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء بـه فأضعف أو قريبـا »[1] . لقد ربحت تجارة خديجة بفضل محمد . فلما أخبرها ميسرة بما لمسه من عظم أخلاق محمد وبشاراته وكراماته ، مال قلبهـا لاختياره زوجا بعد أن صدق حسن اختيار عقلهـا له من قبل ليكون عاملا لديها .

ولكن ، كيف السبيل لتحقيق ذلك ، والمحاذير كثير . انها أرملة فى الأربعين من عمرها تزوجت قبله مرتين وأنجبت ذرية ، أما هو فشاب فى الخامسة والعشرين . وفى تلك البيئة العربية التى تنضج فيها الفتاة

---

(١) سيرة ابن اسحق ــ ص ٥٩ ، ٢٢٩

مبكرا وتتزوج فى سن العاشرة وتلد بنين وبنات ، لا تصلح خديجة ـ بمقياس الزمن ـ لمحمد الا أما ، تعوضه حرمان الأمومة الحانية التى فقدها منذ كان طفلا لم يتجاوز السادسة ..

وهناك تدخلت **صديقتها نفيسة بنت منيه ففاتحت محمدا** ، تحثه على الزواج لكى تهنأ حياته ، فكان جوابه : **ما بيدى ما أتزوج به .**

الا أن جوابه هذا قد شجعها على لفت نظره الى خديجة ..

وبين هذا وذاك ، سعت خديجة ورسلت اليه قائلة : « يابن عم ، انى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسطتك[1] فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ..

فلما قالت ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه . فخرج معه حمزة ابن عبد المطلب ، حتى دخل على أسد بن أسد فخطبها اليه »[2] .

وهكذا تزوج محمد خديجة ، فولدت له كل أولاده ـ الا ابراهيم ـ وهم : القاسم وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وقد مات البنون قبل النبوة ، أما البنات فقد أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه .

*

انقضت خمس عشرة سنة على زواج محمد بخديجة كانا فيها نعم الزوجين وفى اقترابه من الأربعين عاما بدأت تلوح له ارهاصات النبوة . وأولها الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا فى نومه الا تحققت . ولقد حبب اليه الخلاء والبعد عن صخب الحياة ، ثم بدأ يعتزل وحيدا فى غار حراء أياما أو أسابيع كل عام ، حتى اذا كانت احدى الليالى من العشر الأواخر من رمضان ، فجئ الوحى محمدا وبدأ يتلقى القرآن ..

---

(١) قوله : وسطتك ، فسره السهيلى من الوسط ، وقال : فلان أوسط القبيلة ، اعرفها وأولاها بالصميم .

(٢) المرجع السابق ـ ص ٦٠ ـ ٦١

يقول محمد رسول الله : « جاءنى جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب • فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • قال : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • فغتنى به حتى ظنت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقولها الا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى•

فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم** ﴾ (العلق : ١ـ٥).

قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى • فخرجت حتى اذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فرفعت رأسى الى السماء أنظر : فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك • ثم انصرف عنى » •

رجع رسول الله الى خديجة يرتجف ، حتى اذا ذهب عنه الروع قال لها : أى خديجة ، مالى ؟ لقد خشيت على نفسى • ثم أخبرها الخبر •

فقالت له خديجة : أبشر يابن عم واثبت • فوالله لا يخزيك الله أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق •

لقد كانت أخلاق محمد ـ التى خبرتها خديجة عن كثب وما اشتهر به بين الناس من جميل المحامد وعظيم السجايا ، هى حيثيات الحكم التى استندت اليها فى التأكيد على صدق ما جاءه ، وأنه « الحق » من الله • لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فما كان خبر السماء الا ليؤخذ بكل الجد ويستيقن منه بالبحوث والتجارب •

وهناك يحدث أمران هما بمقياس العصر تجارب معملية كتلك التى تجرى لدراسة ظاهرة من الظواهر الطبيعية •

الأول : انطلقت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد عرف خبر الوحى من الأسفار السابقة ، فلما أخبرته بما حدث لمحمد وما رآه وسمعه . أطرق مليا ثم قال : قدوس ! قدوس ! والذى نفس ورقة بيده . لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت » .

الثانى : طلبت خديجة الى محمد أن يخبرها بمجىء الملك متى رآه . فلما جاء الملك ـ يراه محمد ولا تراه خديجة ـ أجلست زوجها محمدا على فخذها الأيسر . ثم على فخذها الأيمن ، ثم فى حجرها . وفى كل مرة تسأله عنه فيخبرها أنه لا يزال يراه . حتى اذا حسرت وألقت خمارها فاذا بمحمد لم يعد ير الملك .

لم يبق ـ اذن ـ شك فى ان هذا الذى يأتيه انما هو ملك طاهر ، كما لم تبق هناك أية فرصة للشك فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم وخديجة كانا أكثر الناس **حرصا على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد** الذى لا عهد لهما ولأمتهما به من قبل .

*

وهنا يستدعى انتباهنا ثلاث نقاط هامة نعرضها فيما يلى :

١ ـ ان حرص محمد وخديجة على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد يأتى برهانا على الصدق مع النفس ، وهذا ولا شك أول درجات الصدق . فاذا كان الانسان صادقا مع نفسه . كان حريا به أن يكون صادقا مع أهله وقومه وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بدعوة كبرى يتوقف عليها مصائر الناس فى الدنيا والآخرة . ان هذا ما اتسم به رجال الله الصادقين .

ولقد رأينا ـ سلفا ـ كيف تصرف جدعون مع « ملاك الرب » الذى أرسله « ليخلص اسرائيل من كف مديان »[1] ، فقد أجرى معه

---

(١) راجع ص ١٩ : ٢٠ .

تجربتين ليستوثق من أن الرب « يخلص بيده اسرائيل ، كما تكلم » حقا وصـــدقا .

٢ ــ دفع الملك الأعظم جبريل الكتاب الى محمـــد قائلا لـــه : « اقرأ » ، فقال له محمد : « ما أنا بقارىء » ...

سبحان الله ! ان هذه واحدة من نبوءات اشعيا التى ســبق أن ألمح اليها فى مثله الذى قال فيه :

« يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول : **لا أعرف الكتابة** ــ اشعيا ٢٩ : ١٢ » .

لقد تحققت هذه النبوءة كاملة فى محمد خاتم النبيين حين جاءه الوحى لأول مرة .

ومع ذلك ، فهنا شىء خطير لا بد من استبيانه ...

ان النبوءة السابقة من سفر اشعيا (٢٩ : ١٢) تتحدث عمن يدفع اليه الكتاب ، « ويقال له : اقرأ هذا » . فاذا كان لا يعرف القراءة كان حريا أن تكون اجابته : « لا أعرف القراءة » ، وليس : « لا أعرف الكتابة » كما نجده مسطورا فى التراجم العربية للكتاب المقدس ، سواء ترجمة البروتستانت ، أو ترجمة الكاثوليك (طبعة ١٩٨٣) .

ولقد دفعنى هذا الى مراجعة التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، فكان الأمر كما توقعت ، وعلى غير ما تقول به التراجم العربية .

فالنسخة الانجليزية المعروفة باسم : **الترجمة القياسية المراجعة** (REVISED STANDARD VERSION) تقول هذه الجملة كالآتى :

« And when they give the book to one who cannot read, saying, (Read this, , he says) I cannot read ».

وترجمتها : « وعندما يدفعون الكتـــاب **لمن لا يعرف القراءة** قائلين له : اقرأ هـــذا ، فيقول : **لا أعرف القراءة** » .

والنسخة الفرنسية المعروفة باسم : **الترجمة الفرنسية المسكونية** .
(TRADUCTION OECUMENIQUE de La BIBLE)

تقول نفس الجملة السابقة كالآتى :

« On le donne alors à celui qui ne sait pas lire en disant : (Lis donc ceci) il répond) : ' Je ne sais pas lire. »

وترجمتها : « يدفع (الكتاب) بعدئذ إلى من لا يعرف القراءة ويقال له : اقرأ هذا . فيرد قائلا : **لا أعرف القراءة** » .

لقد حرف مترجمو الكتاب المقدس الى العربية تلك النبوءة ، واضعين كلمة « الكتابة » ومشتقاتها بدلا من كلمة « القراءة » ومشتقاتها . حتى لا يلمح القارىء العربى قول المجيب : « لا أعرف القراءة » أو « ما أقرأ » أو « ما أنا بقارىء » وهو ما عبر عنه محمد رسول الله ﷺ فى رده على الملك الأعظم جبريل فى أول وحى تلقاه .

ان الذى يكذب على الناس يفقد الثقة والاعتبار وترفض شهادته فى امور دنياهم ، فمال هؤلاء القوم لا يزالون سادرين فى غيهم الى اليوم رغم افتضاح أمرهم(١) بسبب التلاعب فى تراجم الكتاب المقدس . وها هو كتابهم يطبق عليهم بخطيئة التحريف التى اعتادوها منذ القديم . فيقول : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . **حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكذب** .. »

أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لان كلمة كل انسان تكون وحيه ، **اذ قد حرفتم كلام الله الحى رب الجنود الهنا** » ارميا ٨ : ٨ ، ٢٣ : ٣٦ » .

*

---

(١) من أراد المزيد من امثلة التلاعب بتراجم الكتاب المقدس ، فليراجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ـ الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة .

٣ ــ فجيء الوحى محمدا فى غار حراء فأصابه من الفزع الشيء الكثير . وكانت زوجه خديجة نعم المواسى والصديق المخلص ذو العقل الرشيد . فلقد أذهبت عنه روع المفاجأة بكلماتها الحانية . وساندته بثقتها فى الله الذى طبعه على الخلق العظيم ، فمحال أن يخزيه . ثم سلكت به سبيل أهل الخبرة بوحى السماء حين هرعت الى ورقة بن نوفل الذى أخبرها أن ما تعرض له محمد انما هو نداء السماء له ، فليثبت .

والحق أن هذا هو طابع الوحى مع عبيد الله من الأنبياء المختارين .

الفجاءة فى المجيء ، والشدة والكرب عند التلقين .

يقول **اريك هيتون** فى كتابه : « **انبياء العهد القديم** » عن الملامح المشتركة بين انبياء الله : « **ان رجال الله حينما حملوا الرسالة الى البشر ، فانهم بقوا بشرا كما كانوا .... واذا أردنا الحديث عن القوة الجبرية التى تلقى بها الأنبياء وحى الله ، فيجب أن نعلم انها كانت أقوى نوع من الجبرية وأعظمه .... ان رجال الله لم يولدوا لمهنة ،**

ولم يسروا خلال فترة للتلمذة ، ولم تكن هناك نقابة للأنبياء ينتسبون اليها ، كذلك فانهم لم يتلقوا دراسة خاصة فى التعاليم اللاهوتية تؤهلهم لذلك . لقد انتهوا كما بدأوا رجالا بسطاء أتقياء .

وقد كان عاموس مثل اليشع ، كلاهما جاءته كلمة الله وهو يعمل فى الحقل : « أخذنى الرب من وراء الضأن وقال لى الرب : اذهب تنبأ لشعبى اسرائيل ــ عاموس ٧ : ١٥ » .

ان بساطة هذا القول تعطيه الصدق والثقة فيه .

وبالمثل كان موسى يرعى غنم حميه عندما رأى الشجيرة المشتعلة ، وهى تماثل ما رآه اشعيا فى الهيكل (اشعيا ــ الاصحاح ٦) »[1] .

---

(1) E. Heaton : THE OLD TESTAMEMT PROPHETS. pp. 52 - 53.

لقد كانت الفجاءة فى المجىء خاصية مشتركة بين هؤلاء الأنبياء ، وغيرهم مثل داود (صموئيل الثانى ٧ : ٨) واليشع (الملوك الأول ١٩ : ١٦ ــ ٢٠) . ونجد فى صموئيل مثلا حيا لبساطة الاختيار المفاجىء ليكون نبيا . فقد « كان الصبى صموئيل يخدم الرب أمام الكاهن عالى » . وبعد أن اضطجع للنوم ، اذا به يسمع صوتا يناديه ، فظنه الكاهن عالى ، فذهب اليه ، فقال عالى : « لم أدع . ارجع واضطجع » . ولما تكرر ذلك للمرة الثالثة « فهم عالى أن الرب يدعو الصبى ، فقال عالى لصموئيل : اذهب اضطجع ويكون اذا دعاك تقول : تكلم يا رب لأن عبدك سامع ..

فجاء الرب ودعا كالمرات الأولى .. فقال صموئيل : تكلم لأن عبدك سامع .... وكبر صموئيل وكان الرب معه .... وعرف جميع اسرائيل .... أنه قد اؤتمن صموئيل نبيا للرب ــ صموئيل الأول ٣ : ١ ــ ٢٠ » .

*

هذا بالنسبة لمفاجئة الوحى فى المجىء ، وأما بالنسبة للشدة والكرب عند التلقين فتلك خاصية أخرى مشتركة بين أنبياء الله . ففى أول وحى تلقاه موسى : **« غطى موسى وجهه لانه خاف ــ** خروج ٣ : ٦ » .

واستمر الحال كذلك ، اذ كانت شدة الوحى تنعكس على وجهه « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل ، **ان موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى ، واذا جلد وجهه يلمع . فخافوا أن يقتربوا اليه .... ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا ــ** خروج ٣٤ : ٢٩ ــ ٣٣ » .

وتتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : **« كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد ــ عبرانيين ١٢ : ٢١ »** .

ولقد استتر الوحى شديدا مع النبى محمد فيعانى من شدته الكثير . ولقد شاهد أصحابه هذه الشدة واستشعروها . وفى هذا قال عبادة بن الصامت : « **كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه** » . وقال زيد بن ثابت : « أنزل (الوحى) على رسول الله ﷺ ، وفخذه على فخذى ، **فكادت ترض فخذه فخذى** » .

ولم تكن شدة الوحى أمرا تفرد به موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ؛ بل نراها ظاهرة غالبة فى الأنبياء الكبار .

فها هو الياس (ايليا) يتلقى الوحى وسط جو مفزع حدثت فيه « **ريح عظيمة وشديدة شقت الجبال وكسرت الصخور .... وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار .... وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه** ـ الملوك الأول ١٩ : ١١ ـ ١٣ » .

وكان الوحى شديدا مع اشعيا حتى ان الملاك كوى شفتيه بالجمر الملتهب حتى يهيئه لتلقى الرسالة الى شعبه « **طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد أخذها بملقط ومس بها فمى** ، وقال : ان هذه مست شفتيك فانزع اثمك وكفر عن خطيتك ـ اشعيا ٦ : ٦ ـ ٧ » .

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك بقوله : « **حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم .. فحملنى** الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى **ويد الرب كانت شديدة** على ـ حزقيال ٣ : ١٢ ـ ١٥ » .

*

هذا ـ ونعود الآن الى خديجة التى تزوجت محمدا وعاشا معا خمسة عشر عاما فى هناءة وطيب مقام ، أنجبا خلالها بنين وبنات قرت بهم العيون . ثم كان الوحى والنبوة والرسالة بمثابة

فتح جديد ، قلب المعتقدات والمفاهيم الخاطئة ، وأعاد صياغة العلاقات بين الله والانسان والكون على أسس من الحق والخير والجمال • وكان لهذا أثره الواضح فى حياة تلك الأسرة السعيدة ، اذ بدأ عهد الجهاد والمشقة بعد أن ولى عهد الراحة وهدوء البال • قام رسول الله صلى عليه وسلم يدعو الناس سرا فاستجاب له نفر قليل ، وكانت زوجه خديجة أول من آمن به من النساء ، واستمر على تلك الحال ثلاث سنين سرى خلالها الاسلام بين المكيين على الرغم من تصدى عتاة القوم للرسول وصحبه وتعذيبهم والتنكيل بهم • فلما رأى الرسول ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على حمايتهم ، عرض عليهم أن يهاجروا الى الحبشة اذ علم أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله لهم مخرجا • فكانت الهجرة الأولى الى أرض الحبشة • فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله « قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى (ملك الحبشة) قد منع من لجأ اليه منهم •• وجعل الاسلام يفشو فى القبائل . اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : الا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم •

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم »[1] •

وما كانت هذه المقاطعة والحصار القاتل الا ليزيد أبا طالب ــ عم الرسول ــ على توكيد حمايته له وللمسلمين معه ، فأدخلهم شعبه الذى يحمل اسمه •

ولما رجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ــ مبعوثا قريش الى النجاشى ليحرضانه على طرد المسلمين من أرضه ــ

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ــ ص ٧٤

وأخبرا قومهما بفشل مهمتهما « آذوا النبى ﷺ وأصحابه أذى شديدا ، وضربوهم فى كل طريق ، وحصروهم فى شعبهم ، وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم ..

فعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب »[1] .

*

لقد خرجت خديجة مع زوجها رسول الله ، وأولادهما ، الى شعب أبى طالب . وعاشت معه ومع المسلمين عيشة الضنك والجوع والخوف ، وكانت نعم المجاهدة فى سبيل الله ، حتى أذن الله بتفريج الكرب ، فنقضت تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد المؤمنون الى ديارهم بسكة . ولم تكن تلك العودة ايذانا بنهاية عهد الاضطهاد والتعذيب ، لكنها كانت بداية لمرحلة أخرى جديدة من فتن المسلمين وصدهم عن دين الله .

وما هى الا بضعة شهور بعد فك ذلك الحصار ، حتى توفيت خديجة عن عمر يناهز الخامسة والستين عاما ، وكان ذلك عقب أيام معدودات من وفاة أبى طالب ، فكان ذلك العام ــ كما دعاه المؤرخون بحق ــ عام الحزن .

لقد عاشت خديجة زوجة وحيدة لمحمد ﷺ طيلة خمسة وعشرين عاما ، أفنى معها كل شبابه حتى دلف الى شيخوخته ، وكانت خير زوجاته على الاطلاق . لقد أقسم الرسول على ذلك لعائشة البكر الوحيدة بين نسائه ، والتى زعموا أنها كانت صاحبة الحظوة عنده .

فبعد الهجرة الى المدينة أقبلت هالة ــ أخت خديجة ــ الى بيت

---

(١) سيرة ابن اسحق ــ ص ١٤٠

الرسول فلما سمع صوتها ، وكان يشبه صوت زوجه العزيزة الراحلة خديجة ، هتف قائلا : « اللهم هالة ! فما ملكت عائشة نفسها أن قالت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر ، أبدلك الله خيرا منها !

فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام ، وزجر عائشة غاضبا : والله ما ابدلنى الله خيرا منها : آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء .

فمسكت عائشة وهى تقول فى نفسها : والله لا أذكرها بعدها أبدا ...

وكانت قبل ذاك ، لا تكف عن الكلام فيها !

قالت له يوما وقد ألفته لا ينقطع عن ذكرها : كأن لم يكن فى الدنيا امرأة الا خديجة !

فرد عليها ، ﷺ : ... انها ... وكانت ... ، وكان لى منها ولد !

وطالما سمعت عائشة رضى الله عنها تقول :

ما غرت من امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت من خديجة ، لما كنت أسمع من ذكره لها . وما تزوجنى الا بعد موتها بثلاث سنين »[1] .

*

وهكذا كان الزواج الأول لمحمد ﷺ : أرملة فى سن أمه ، قضى معها ربع قرن فى حياة زوجية كريمة ، حتى اذا ماتت ظل يصرح لمن حوله بحبها واكبارها ، ثم يقسم أنها خير نسائه لأسباب هى : الايمان برسالته ، ودعمه ماديا ومعنويا ، ثم انجابها الذرية له . وجميعها أسباب لا تمت الى متعة الجسد وشهوته المشروعة من

---

(١) نساء النبى : للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٥١ ـ ٥٣

قريب أو بعيد . وحتى اذا كانت تلك المتعة والشهوة المشروعة دافعا لزواج محمد ﷺ ـ سواء بخديجة أو بغيرها ـ فما ذلك بعيب طالما كان انسانا كاملا يملك نفسه ولا تملكه أهواء النفس . ومن مثل محمد ﷺ يملك نفسه ، كما قالت عائشة زوجه فيما بعد . فهو أولا وأخيرا بشر كما قال القرآن بوضوح : ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) .. لكنه بحق أفضل البشر .

* *

سودة بنت زمعة : لقد ماتت خديجة بنت خويلد وأبو طالب فى عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب « بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه . وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا . ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريشا شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »[1] .

لقد كان « الصحابة يرقبون آثار الحزن على نبيهم فيشفقون عليه من تلك الوحدة ، ويودون لو يتزوج ، لعل فى الزواج ما يؤنس وحشته بعد أم المؤمنين الراحلة .

لكن واحدا منهم لم يجرؤ على التحدث اليه فى موضوع الزواج حتى كانت **خولة بنت حكيم السلمية** هى التى سعت اليه ذات

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٨٧ ، ٨٨

مساء متلطفة مترفقة ، تقول : يا رسول الله ، كأنى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة !

فاجاب : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت .

فتشاغلت خولة بالنظر الى بعيد ؛ ثم أقبلت على الرسول فاقترحت عليه فجأة أن يتزوج .. فسألها فى نبرة عتاب :

من بعد خديجة ؟

فردت خولة على الفور : عائشة ... بنت أحب الناس اليك ..

فاجاب : لكنها ما تزال صغيرة يا خولة ...

وكان رد خولة حاضرا : تخطبها اليوم الى أبيها ثم تنتظر حتى تنضج .. لكن ، من للبيت يرعى شئونه ، ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فاقترحت عليه : سودة بنت زمعة بن قيس العامرية .. فأذن لها رسول الله ﷺ فى خطبتها »[1] .

وهكذا « تزوج رسول الله ﷺ ، بعد خديجة ، سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، وكان ابن عمها ، تزوجها وهى بكر ، فهاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلما بمكة ؛ فتزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولدا حتى مات »[2] .

لقد كانت سودة أرملة مسنة ليس لها من الجمال أو المال نصيب ، وما تزوجها رسول الله الا ليجبر كسرها ويرحم شيخوختها ، وقد أبلت فى الاسلام بلاء حسنا ، وتحملت المخاطر والأهوال فى الهجرة مع زوجها الى الحبشة ثم فى العودة الى مكة . ولما مات زوجها صارت مهيضة الجناح معرضة لنكال أبيها الذى كان مشركا . والحل الوحيد أن يتزوجها رجل مسلم ــ والمسلمون يومئذ قليل ــ ليحميها ويرد عنها الفتنة فى دينها . وما كان غير رسول الله لينقذ

---

(١) نساء النبى ص ٥٨ ، ٥٩

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٨

هـذه المسكينة ويعوضها خيرا ، فيتخـذها زوجـا ويجعلها أما راعية لبنـاته .

لقـد كانت سودة ثقيلة الجسم ، فى مشـيتها مما يثير ضـحك ناظريها ، وكان فيها طيبة تقرب من السذاجة . ولقد كانت هى أول من يعلم مثالبها ، وأنها لن تستطيع أن تملأ مكان خديجة . ولمـا جـاءت عائشة زوجـة للرسـول بعـد سـنوات ، لم تملك الا أن تعلن له أنهـا لم تعـد تريد ما يريد النسـاء من أزواجهن ، وأنها تتنازل عن ليلتها لعائشة .

وهكذا صـارت سودة بنت زمعة ـ كما قال نظمى لوقا بحق ـ **زوجة شرف ، لا غير .**

**

عائشـة بنت ابى بكر : « تزوج رسـول الله ﷺ بعد سـودة بنت زمعـة ، عائشة بنت بنت أبى بكر . ولم يتزوج بكرا غيرها ، ولم يصب منها ولدا حتى مات »[1] .

وكيف لا يصـاهر الرسـول ﷺ أبـا بكر وهو : أول من آمن من الرجـال ، قال فيه الرسول : « ما دعوت أحـدا الى الاسـلام الا كانت فيـه عنـده كبـوة ونظر وتردد ، الا مـا كان من أبى بكر ابن أبى قحافة ، ما عكم ـ أى ما تلبث ـ حين ذكرته له ومـا تردد فيه » ، وقال أيضا : « ما نفعنى مال قط ، ما نفعنا مال أبى بكر » . قيل : فبكى أبو بكر وقال : « يا رسول الله ، وهل أنا ومالى الا لك » ؟!

لقد خطب رسـول الله عائشة ـ على القول الراجح ـ وهى فى السابعة من عمرها ، ودخل بها بعد أن بلغت العاشرة . وقد كانت عادة تلك البيئات ـ ولا تزال الى اليوم ـ أن تخطب الفتاة مبكرا ثم تتزوج

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٩

خلال بضع سنين بعد أن ينضج ويكتمل بناؤها . وهذا ما كان من أمر عائشة قبل خطبتها الى رسول الله ، فقد خطبها المطعم بن عدى لابنه جبير . فلما جاءت خولة بنت حكيم لتخطبها لرسول الله قال لهـا أبو بكر : « انتظرينى حتى أرجع ...

وقالت أم رومان (زوجه) تجلو الموقف للخاطبة : ان المطعم بن عـدى كان قـد ذكر عائشة على ابنه جبير . ولا والله ما وعد أبو بكر شيئا قط فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعم وعنـده امرأته أم جبير ـ وكانت مشركة ـ فقالت العجوز : يابن أبى قحافة ، لعلنـا ان زوجنـا ابننا ابنتك ، أن تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ؟!

فلم يرد عليها أبو بكر ، بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هـذه ؟

أجاب : أنها تقول ذلك الذى سمعت .

فخرج أبو بكر وقد شـعر بارتياح لمـا أحله الله من وعـده ، وعاد الى بيته فقال لخولة : ادعى لى رسول الله »[1] .

فما كان أبو بكر ليزوج ابنته فى بيت من المشركين الذين ينقمون على الاسلام والمسلمين .

ولقد خاض جهلة المستشرقين فى أمر فارق السـن بين رسول الله وعائشـة اذ غابت عنهم خصـائص تلك البيئـة العربيـة وما شابهها ـ قديمـا وحديثـا ـ والتى لا تجعل فـارق السن بين الزوجين محل اعتبار ، حيث ان انجاب الذرية هـدف أساسى يرجح تحقيقه فى حالة الزوجة صغيرة السن ذات الخصوبة العالية التى لا تلبث أن تتضاءل كلما مرت الأيام . « فلقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيـه عبد الله أصغر أبنائه من ترب هالة : آمنة بنت وهب . وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبى طالب ، وهو

---

(١) نساء النبى ص ٧١

فى سـن فوق سـن أبيها ! ويعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشـابة حفصة ، وبينهما من فارق السـن مثل الذى بين الرسـول وعائشة »[1] .

وفى تاريخ الأنبياء السـابقين مثل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ...

فها هو ابراهيم ـ خليل الله ، وأبوالأنبياء ـ يخبرنا كتبة التوراة أنه لما خرج مهاجرا الى أرض كنعان « كان ابن **خمس وسبعين سـنة** ـ تكوين ١٢ : ٤ » بعد ذلك حدثت مجاعة اضطرته أن ينحدر « الى مصر ليتغرب هناك » . وبعد ما حدث من فرعون مصر لسـارة ، وما منح ابراهيم بسـببها من عبيد **وجوارى** وأنعام ، عاد ثانية الى أرض كنعان (تكوين ١٢ : ١٠ ـ ٢٠) . ولمـا كان لا يزال بلا ذرية بسبب عقم سارة ، فقد أخذت هذه « هاجر المصرية جاريتها **من بعد عشر سـنين** لاقامة ابرام فى أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت ـ تكوين ١٦ : ٣ ـ ٤ » « وكان ابرام **ابن ست وثمانين سـنة** لمـا ولدت هاجر اسماعيل لابرام ـ تكوين ١٦ : ١٦ » .

وباعتبار أن هاجر عندما قدمت لابراهيم وسارة كهدية فرعونيـة كانت لم تتعد العشرين ربيعا[2] ، وهى السن المقبـولة لمثـل هـؤلاء الفتيات ، نجـد أن :

عمر ابراهيم عندما تزوج هاجر : ٨٦ ـ ١ = ٨٥ سنة .
وعمر هاجر عندما تزوجت ابراهيم : ٢٠ + ١٠ = ٣٠ سنة .
وبذلك يكون فرق السـن : ٥٥ سـنة .

وفى حالة داود نجد أنه لمـا توفى كان عمره (حسب سفر صموئيل الثانى ٥ : ٤) يبلغ **سبعين عاما** .

---

(١) نسـاء النبى ص ٧٥

(٢) كانت جويرية بنت الحارث أقل من ٢٠ سنة لمـا وقعت سبيّة فى غزوة بنى المصطلق ، وكانت صفية بنت حيى بن اخطب اقل من ١٧ سنة لمـا وقعت سبية فى غزوة خيبر ـ نهاية الأرب ص ١٨٣ ، ١٨٧

« ولما شاخ الملك داود وتقدم فى الأيام .. فتشوا على **فتاة جميلة ..** فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك » .

فهذه الفتاة ما كانت لتتعدى العشرين ربيعا أو دون الخامسة والعشرين على أقصى الفروض . وهى حاضنة لداود يداعبها وتداعبه .

لقد كان فرق السن بين داود وآخر نسائه يتعدى ٤٥ سنة على أقل تقدير .

*

ومهما يكن من أمر ، فها هو بودلى — يرد على بعض افتراءات بنى جندته فيقول : « قام محمد بعد موت خديجة بفعل ما كان منتظرا ، فقد تزوج من اثنتين ، وما كان الحب الدافع الى احدى الزيجتين . فقد كانت احدى الزوجتين طفلة فى السابعة من عمرها (حين خطبها) ، وكانت الثانية متوسطة فى العمر وليست على جانب من الجاذبية ، وكان زوجها ممن هاجر الى الحبشة سنة ٦١٤ م ومات بها . وكان الدافع الى هاتين الزيجتين دافعا عمليا . فكانت الطفلة عائشة بنت أبى بكر . صديقه الحميم ، وأول الناس اسلاما . ولا يمكن أن تنسب الى محمد فكرة الارتباط بعائشة ، فقد كان لموت خديجة أسوأ الأثر فى نفسه ، وكان الى جوار ذلك يلاقى من شانئيه اضطهادا . فما كان والحال هذه خلى البال ليفكر فى الزواج ، ولكن جاء الاقتراح عن طريق خولة بنت حكيم ، وقد قالت له : ان زواجه من عائشة فى ذلك الوقت ان هو الا خطبة ، وبذلك يضمن أن بنت أعز أصدقائه وأخلصهم تصبح من أسرته ، فقبل محمد ذلك ..

ان كثيرا من المؤرخين قد لاموا محمدا على ذلك الزواج ، فمحمد لم يفكر فى ذلك الزواج أبدا ..

أما الزوجة الثانية فهى سودة بنت زمعة ، فانها دخلت بيت محمد

كمربية أكثر من أى شيء آخر ، وكانت امرأة ضخمة ثقيلة ، ولم يشعر محمد نحوها بأدنى عواطف الحب ، ولكنها كانت من أوائل المسلمات ، وقد مات عنها زوجها فى مهجره فى سبيل عقيدته ، وقد قالت خولة لابن أختها ان أقل ما يفعله لها هو أن يتزوج بها ، فانها لم تعش الا قليلا وزوجها الأول . وقد حاول محمد فى ظروف كثيرة أن يتخلص منها ، ولكنها عرضت أن تبقى دون أن يكون لها امتيازات ، وبقيت فى الحريم الى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها .

ولو أنه قد تيسر لمحمد أن يتزوج الكثيرات ، الا أنه لم يجد راحة البال ، فبعد موت خديجة وأبى طالب ، عمل أبو جهل وأبو سفيان جاهدين على التخلص من هذا الصابىء ، فأعلنوا دون مناقشة فى مكة أن لا بد من قتل محمد ، فوجد محمد نفسه مضطرا الى الفرار مرة أخرى »[1] .

لعل فى قول بودلى هذا ـ رغم حاجته الى تنقيح ـ ما يزيل الغشاوة عن أعين أولئك الجاهلين ، فيكفوا عن ترديد أكاذيب ورثوها حول تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

* *

حفصة بنت عمر : « كانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمى **وكان بدريا** (ومن أصحاب الهجرتين ؛ هاجر الى الحبشة مع المهاجرين الأولين اليها ، ثم الى المدينة . وقد شهد **احدا** كذلك ، ثم مات بعدها فى دار الهجرة من جراحة أصابته فى **احد**) ، فلما مات عنها وتأيمت ، ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه ، فلم يرجع اليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك عمر . ثم عرضها على عثمان حين ماتت

---

(١) الرسول : حياة محمد ـ تأليف : ر . ف . بودلى ـ ص ١٢٦ ، ١٢٧

رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر الى رسول الله ﷺ وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة .

ثم خطبها رسول الله ﷺ الى عمر فتزوجها .. على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره »[1] .

ولقد سمع عمر « يوما من زوجته أن ابنته تراجع الرسول ﷺ حتى يظل يومه غضبان . فمضى من فوره حتى دخل عليها فسألها ان كان ما سمعه حقا ؟ أجابت بأنه حق ، فصاح يزجرها : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ، يا بنية ، لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها (عائشة) وحب رسول الله ﷺ اياها . **« والله لقد علمت ان رسول الله ﷺ لا يحبك ، ولولا انا لطلقك » ! (٢) .**

**

زينب بنت خزيمة (ام المساكين) : « تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة ، زينب ابنة خزيمة الهلالية أم المساكين . وكانت قبله عند الحصين بن الحارث ، أو عند أخيه الطفيل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، فماتت بالمدينة أول نسائه موتا ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »[3] .

وقد اختلف الرواة فيمن كانت عنده قبل أن يتزوجها رسول الله ، فقالوا : « كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فخلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث

---

(١) نهاية الأرب ـ ص ١٧٧ (٢) نساء النبي ص ١٢٣
(٣) سيرة ابن اسحق ص ٢٤١

فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، فخلف عليها رسول الله ﷺ فى شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من مهاجره .

وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ »[1] .

ورغم اختلاف الرواة فقد أجمعوا على أشياء منها : أن زينب بنت خزيمة كانت امرأة رحيمة القلب بارة بالفقراء والمساكين ، وأنها كانت أرملة لشهيد قرشى ، ولم تعرف بالجمال بين النساء ، ولم تمكث زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوى شهور معدودات حتى توفاها الله فماتت فى حياته ودفنت بالبقيع ، بالمدينة ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين .

**

أم سلمة : تزوج رسول الله « أم سلمة هند بنت أبى أمية . وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . هاجرا جميعا الى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، وتزوجها (أبو سلمة) وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »[2] .

لقد كان زوجها ابن عمة رسول الله ، وكانت هى قرشية مخزومية ، أبوها أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم . وقد شهد

---

(١) نهاية الأرب ص ١٧٨

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٢ .

أبو سلمة غزوة بدر الكبرى ، ثم شهد يوم أحد وأبلى فيه بلاء حسنا ، ورمى بسهم فى عضده مكث يداويه . وبعد شهرين خرج على رأس سرية ضد بنى أسد ، فقاد معركة ظافرة ، لكن جرحه يوم أحد لم يلبث أن قضى عليه .

وهكذا ترملت أم سلمة ، وقد كان لها ولزوجها سبقا فى الاسلام ، وفى الهجرة ، وفى الجهاد فى سبيل الله .

تقول أم سلمة فى وصف ما لحق بها من أذى فى هجرتها الى المدينة : « لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة ، رحل بعيرا له وحملنى وحمل معى ابنى سلمة ، ثم خرج يقود بعيره . فلما رآه رجال بنى المغيرة قاموا اليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها . أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

ونزعوا خطام البعير من يده وأخذونى ، فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، وأهووا الى ولدنا سلمة ، وقالوا لرهط زوجى : والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا .

فتجاذبوا ابنى سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبيه ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم . ومضى زوجى أبو سلمة حتى لحق بالمدينة .

وفرق بينى وبين زوجى وابنى ، فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها .

حتى مر بى رجل من بنى عمى ، أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى ، فرحمنى ، فقال : لبنى المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! وما زال بهم حتى قالوا : الحقى بزوجك ان شئت .

ورد على بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى ، فرحلت بعيرى ووضعت ابنى فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، وما معى أحد من خلق الله »[1] . وفى الطريق الى المدينة هيأ لها الله من يقودها الى منزل زوجها أبى سلمة فى مهاجره .

لقد كان التقدم للزواج من هذه الأرملة المجاهدة واجب دين ، وواجب أخوة ، وواجب نخوة . وما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتقاعسوا عن أداء هذا الواجب . فقد تقدم لها أبو بكر ، فاعتذرت . ثم تقدم لها عمر ، فاعتذرت ، ثم تقدم لها رسول الله ﷺ ، فاعتذرت قائلة : « انى امرأة كبيرة ، وانى أغار على زوجى ، وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ وأنا امرأة محسوسة سهمى ، وأنا مطفلة ذات عيال .

فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فانه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منك ، وأنا أكبر منك . وأما ما تذكرين من الغيرة ، فانى أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، **فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا او عيالا ، فعلى الله وعلى رسوله .**

فتزوجها رسول الله ﷺ »[2] بعد أن داوى كل معاذيرها .

* *

زينب بنت جحش : « تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة ، زينب ابنة جحش ، أخت عبد الله بن جحش ، احدى نساء بنى أسد بن خزيمة . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . **زوجه الله اياها** ، فمات رسول الله

---

(١) نساء النبى ص ١٣٩ ـ ١٤٠

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٣

ﷺ ولم يصب منها ولدا »[1] . « وكان اسم زينب : برة ، فسماها رسول الله ﷺ زينب . وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ .. تزوجها رسول الله ﷺ وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة »[2] .

كان زيد غلاما فى الثامنة من عمره حين بيع ـ اثر هجمة قبلية ـ فى احدى أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم دفعه ليد عمته خديجة بنت خويلد . فلما تزوجها سيدنا محمد ، وهبته زيدا ، فأعتقه وتبناه قبل المبعث ، وأعلن للملأ أن زيدا صار ابنه ، وارثا وموروثا . ومنذ ذلك اليوم ، دعى الغلام : **زيد بن محمد** .

وعندما آخى النبى بين أصحابه المهاجرين الى المدينة ، كان زيد ـ هذا الذى بيع فى سوق الرقيق ـ وحمزة بن عبد المطلب الهاشمى ، أخوين .

ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له النبى زينب بنت جحش زوجة ، وهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب .

ولقد كرهت زينب ، وكره أخوها عبد الله بن جحش هذه الخطبة منذ الوهلة الأولى ، فما كان لشريفة قرشية أن تزف الى مولى من الموالى .

ففى احدى الروايات « أن رسول الله قال لها : انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فانى قد رضيته لك .

فردت زينب على ولى أمرها ـ رسول الله ﷺ ـ وقالت :

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٤ (٢) نهاية الأرب ص ١٨

ولكنى لا ارضـــاه لنفسى وانا ايم (عزبة) قومى ، وبنت عمتـــك ، فلم أكن لأفعل »(١) .

وبعـــد أخـــذ ورد ، قال لهـــا رســـول الله : « قـــد رضـــيته لك زوجا » . فأجابت : « وقد رضيته زوجا يا رسول الله » .

لقد قبلت زينب الزواج من زيد على مضض ، امتثالا لأمر الله ــ سبحانه ــ فى قـــوله : ﴿ **وما كان لمؤمـــن ولا مؤمنـــة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورســـوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

لقد تزوج زيد زينب قبـــل الهجرة بثمان ســـنوات ، وهاجرا الى المدينة ، وبقيت فى عصمته نحو ١٣ سنة ، كانت الحياة الزوجية فيها عبئا ثقيلا عليهما ، بل وعذابا لكل منهما . وكم من مرة اشـــتكى زيد لولى نعمته ــ رسول الله ﷺ ــ من استعلاء زينب عليه ، وعدم تمكنه من القوامة على أمر بيته ، وما يعانيه كل منهما من هم وغم ، بحيث لم يعد هناك من حل سوى الطلاق . وفى كل مرة ينصحه رسول الله ﷺ أن يصبر على أمره ، ويمسك عليـــه زوجه ، فأبغض الحلال الى الله الطلاق . ولمـــا بلغ الســـيل الزبى ، واستحالت العشرة ، طلقها زيد ، ثم فرض الله على رسوله الزواج منها لحكمة تشريعية واضحة ، وهى ابطال عادة جاهلية كانت تجعل الأبناء الأدعياء ــ مثل زيد الذى دعى : زيد بن محمـــد ــ تماما مثل الأبناء من الأصلاب ، فيما يتعلق بالميراث والزواج ونحوه .

فالآيـــة القـــرآنية تقول فى ذلك : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج أدعيائهم اذا قضـــوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا** ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

لكن هذا الزواج ــ الوحيد الذى تم بأمر مباشر من السماء ــ أثار

---

(١) قصة زينب بنت جحش ، للدكتور محمد بديع شريف ص ١٥

من أحاديث الهمز واللمز والأقاويل الشيء الكثير • فقديما قال المشركون وأشياعهم : حرم محمد نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه •

وحديثا يتخذ المستشرقون وأشياعهم من المبشرين ، من هذا الزواج مادة للهجوم على الاسلام ونبيه ، يبثونها فى نشراتهم المسمومة ، لعلها توقف تقبل الغرب للاسلام اليوم !

ولقد اغراهم بذلك ما وجدوه فى كتب التراث الاسلامى من روايات كثيرة مختلفة ، يزعم بعضها : محمدا ﷺ أعجبته زينب ، ورغم أنه كتم ذلك فى نفسه ، فما لبث أن تزوجها بمجرد أن طلقها زيد •

لقد تمسك خصوم الاسلام بمزاعم هذا البعض ، ونسجوا حوله الاكاذيب • ونريد الآن ان ننظر فى تلك الروايات التى جاءت فى كتب التراث الاسلامى حول زواج رسول الله من زينب بنت جحش ، ثم تقيم الموقف بصفة عامة ، آخذين فى الاعتبار عوامل المنطق وأحداث التاريخ •

*

يقول **الحق** فى القرآن مخاطبا نبيه : ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا** ﴾
(الأحزاب : ٣٧)

ان الاتفاق تام حول عدد من المسائل التى جاءت فى هذه الآية الكريمة منها : أنها تتعلق بزيد بن حارثة متبنى رسول الله ، الذى أنعم الله عليه بالاسلام • وأنعم عليه الرسول بالعتق والرعاية ، كما تتعلق بزوجه زينب بنت جحش التى طالما اشتكى منها زيد وأراد تطليقها ،

وفى كل مرة يقول له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله • حتى اذا نفد الصبر وطلقها زيد ، زوجها الله سبحانه ــ لنبيه ، ليقطع دابر تقليد جاهلى يسوى الأبناء من الأصلاب والأبناء الأدعياء • لكن الخلاف نشأ حول المقصود بقوله تعالى : ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ •

فالبعض يرى أن هذا القول موجه الى زيد ، استكمالا لقول النبى له : « أمسك عليك زوجك واتق الله » • وبذلك يكون المعنى باختصار هو : « احتفظ يا زيد بزوجك ، واتق الله فى أمرها ولا تفشى اسرار الزوجية بينكما فى اى اطار من شكواك التى اظهر الله بعضها على لسانك ، وخف الله من اصرارك على فراقها ، ولا تخشى قالة الناس فى عدم قدرتك على أن تكون سيد بيتك ، وان زوجك تؤديك بترفعها عليك ؛ فان الله الذى انعم عليك نعمة الاسلام ، وجعل بينك وبين زوجك مودة ورحمة اولى بان ترى شريعته ، واحق بالخشية من الناس »[1] •

أما الآخرون ، وهم كثير ، فيرون ان الحديث عن الاخفاء فى النفس وخشية الناس ، انما هو موجه الى رسول الله • ومن هنا بدأ التساؤل حول حقيقة هذا الذى اخفاه الرسول فى نفسه ، ومتعلق خشيته الناس ، فوقع الخبط فى التاويل كما قال بحق **ابن حجر** •

فلنرجع الآن الى الروايات التى تتحدث عن الفصل الاخير فى العلاقة الزوجية بين زيد وزينب ، مبتدئين بقدم تلك الروايات حسبما نجده فى المصادرة المتاحة •

*

● **من سيرة ابن اسحق :**

عاش محمد بن اسحق بن يسار فى الفترة (٨٥ ــ ١٥١هـ) ، ويعتبر كتابه هذا المسمى : المبدأ والمبعث والمغازى ، من أقدم ما كتب فى السيرة النبوية • وقد قام معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب ــ

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦

مشكورا ـ بنشره ، بعد أن عهد الى العلامة المدقق **محمد حميد الله(1)** بتحقيقه والتعليق عليه ؛ حيث قدم له ببحث عن التاريخ عند المسلمين ، ونبذة عن حياة ابن اسحق .

من هو ابن اسحق : يقول محمد حميد الله فى مقدمته : « **هو** محمد ابن اسحق بن يسار بن خيار .. قال ابن سعد (الطبقات ٧/٢ ص : ٦٢) **ان جده يسار من سبى عين التمر** . . وروى الخطيب البغدادى (١/٢١٥) عن عبد الله بن جعفر بن درستوية عن يعقوب بن سفيان **ان ابن اسحق فارسى** .. ويمكن لنا أن نقول ان ابن اسحق كان يعرف الانجيل جيدا . تعلمه من علماء عصره ، **لا من أجداده .. ونقل عن التوراة ايضا** مثلا قصة هابيل (تاريخ الطبرى) ١/١٤١ : كتاب (سفر) التكوين من التوراة (٤/٩ ـ ١٦) وعمر يوسف عليه السلام (تاريخ الطبرى ١/٤١٣ : كتاب التكوين ٥٠/٢٢) وسفينة نوح عليه السلام (الطبرى ١/١٨٩ ـ ٢١٢ : كتاب التكوين ٦/١٤) ..

ومما يطعن به عليه ما رواه الذهبى (تذكرة الحفاظ ١/١٦٤ ، وميزان الاعتدال ٣/٢٢) عن ابن عدى أن ابن اسحق كان يلعب بالديوك .

واشنع من ذلك ما رواه ابن النديم بكلمة (**يحكى**) وما تلاه ياقوت عن الواقدى ؛ واللفظ لياقوت : كان محمد **بن اسحق يجس** قريبا من النساء فى مؤخر المجلس **فيروى عنه انه كان يسامر ـ وعند ابن النديم : يغازل ـ النساء** . فرفع الى هشام وهو أمير المدينة . وكانت له شعرة حسنة . فرقرق رأسه وضربه أسواطا ، ونهاه عن الجلوس هناك ..

---

(1) محمد حميد الله عالم موسوعى وباحث مدقق يتقن عددا من اللغات وله ترجمة فرنسيه مشهورة لمعانى القرآن الكريم . وقد كان لى شرف التعرف اليه والاستماع الى محاضراته وقراءة بعض مؤلفاته وأبحاثه . وهو يعيش حاليا فى باريس وقد كرس حياته وماله لخدمة الدعوة الاسلامية بعيدا عن الأضواء .

ولما صنف مالك الموطأ ، قال ابن اسحق : ايتونى به فأنا بيطاره . فنقل ذلك الى مالك . فقال : هذا دجال من الدجاجلة ، يروى عن اليهود .. (وكان مالك) ينكر عليه تتبعه غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظه والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن اسحق يتتبع هذا عنهم ، ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يرى الرواية الا عن متقن ..

وقد حذف ابن هشام أيضا اشياء من كتاب ابن اسحق عندما هذبه ، وقال (سيرة ابن هشام ، ص ٤) : وتارك بعض ما ذكر ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر .. وأشياء بعضها يشنع الحديث به ؛ وبعض يسوء بعض الناس ذكره ..

وأكبر طعن طعنه به المحدثون هو ان ابن اسحق يدلس الأحاديث .

فروى (الخطيب ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ ، وابن سيد الناس ص ١١ ، وابن حجر ص ٤٣) : ان أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحق فقال : كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه ... سألت أحمد بن حنبل فقلت : يا أبا عبد الله ، اذا تفرد ابن اسحق بحديثه تقبله ؟ قال : لا والله . اننى رأيته يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا »[1] .

*

رواية ابن اسحق : نعرض فيما يلى رواية ابن اسحق ، بعد أن نقسمها الى فقرات مسلسلة ، حتى تسهل المقارنة بينها وبين روايتين أخريين للطبرى سنعرضهما لاحقا بذات الكيفية . وبذلك يكون لدينا ثلاث روايات : الأولى لابن اسحق ، والثانية والثالثة للطبرى . ولسوف

---

(١) سيرة ابن اسحق : مقدمة محمد حميد الله .

يسبق الرقم المسلسل لكل فقرة ، رقم الرواية نفسها ، وبذلك تكون ـ مثلا ـ الفقرة : ٢ ـ ٧ : هى الفقرة رقم ٧ فى الرواية رقم ٢ ، وهكذا .

الرواية الاولى (لابن اسحق) :

١ ـ ١ « مرض زيد بن حارثة ، فذهب اليه رسول الله ﷺ يعوده ، وزينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد .

١ ـ ٢ فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر اليها رسول الله ﷺ ثم طأطأ رأسه .

١ ـ ٣ فقال : سبحان مقلب القلوب والأبصار .

١ ـ ٤ فقال زيد : أطلقها لك ، يا رسول الله .

١ ـ ٥ فقال : لا

١ ـ ٦ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وإذ تقول للذى انعم الله عليه وأنعمت عليه ﴾ ...الى قوله : ﴿وكان امر الله مفعولا﴾ (الأحزاب : ٣٧)[1] .

❊

● **من تاريخ الطبرى :**

عاش أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى الفترة (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) ، شهد عصر المأمون ، وحضر خلافة المعتصم والواثق ، وشهد فتنة (القول) بخلق القرآن فى ذروتها ، وهى فتنة عانى من جرائها العلماء الاضطهاد .. وكان (ابن جرير) يجمع أخباره ويدونها فى زمن ضعف فيه الاسناد . وكثر الوضاع ، اما تدليسا أو حبا للشهرة ، أو تكسبا للقمة العيش . وكان ابن جرير يستند فى تفسيره القرآن الكريم على مثل هذه الروايات »[2] .

ان الاعتراف سيد الأدلة ... ما فى ذلك شك .

وها هو ابن جرير يقول فى مقدمة تاريخه كيف كان نهجه فى الجمع

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٤٤

(٢) قصة زينب بنت جحش : ص ١٣

والتأليف : « ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت الى راسمه فيه ، انما هو ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها الى رواتها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه ، اذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، الا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما اتى من قبل بعض ناقليه الينا . وانا انما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا »(١) .

ولقد عرف المستشرقون هذه العيوب فى الطبرى . يقول بيرى ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج : « لم يكن الطبرى ذا ملكة تاريخية ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن نقد مصادره أو تمحيصها . لقد كان عمله مجرد ترصيص لروايات المؤلفين السابقين ، دون التوفيق بين تناقضاتها ، أو محاولة استنباط الحقيقة »(٢) .

والآن نعرض من روايات الطبرى فى موضوع زواج النبى من زينب بنت جحش وهو ما اصطلحنا على تسميته ـ سلفا ـ باسم الرواية الثانية ، والرواية الثالثة ، باعتبار أن رواية ابن اسحق كانت هى الرواية الأولى .

*

---

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الأول ـ ص ٧ ، ٨

(٢) G. Wells : The Jesus of the Early Christians, pp. 208 - 209.

الرواية الثانية (للطبرى) :

٢ ــ ١ « جاء رسول الله ﷺ الى بيت زيد بن حارثة وكان زيد انما يقال له : زيد بن محمد ، ربما فقده رسول الله ﷺ الساعة ، فيقول أين زيد ؟ فجاء يطلب منزله فلم يجده .

٢ ــ ٢ وقامت اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا (أى تلبس ثوبا واحدا) .

٢ ــ ٣ فاعرض عنها رسول الله ﷺ فقالت : ليس هو ههنا يا رسول الله ، فادخل بأبى أنت وأمى ! فابى رسول الله أن يدخل .

٢ ــ ٤ وانما عجلت زينب أن تلبس اذ قيل لها : رسول الله ﷺ على الباب ، فوثبت عجلة .

٢ ــ ٥ فأعجبت رسول الله ﷺ .

٢ ــ ٦ فولى وهو يهمهم بشىء لا يكاد يفهم .

الا أنه أعلن : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ ــ ٧ فجاء زيد الى منزله ، فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل ! فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى .

قال : أفسمعتيه يقول شيئا ؟ فقالت : سمعته يقول حين ولى : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ ــ ٨ فخرج زيد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلى . فهلا دخلت ! بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟

٢ ــ ٩ فقال رسول الله ﷺ : امسك عليك زوجك .

٢ ــ ١٠ فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم .

٢ ــ ١ فكان يأتى رسول الله ﷺ فيخبره ، فيقول له رسول الله ﷺ **امسك عليك زوجك .**

٢ ــ ١٢ ففارقها زيد واعتزلها ، فحلت »[1] .

*

الرواية الثالثة (للطبرى) :

٣ ــ ١ « كان النبى ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده .

٣ ــ ٢ وعلى الباب ستر من شعر ، **فرفعت الريح الستر فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة .**

٣ ــ ٣ فوقع اعجابها فى قلب النبى ﷺ .

٣ ــ ٤ **فلما وقع ذلك ، كرهت الى الآخر** (أى كرهها زيد منذ ذلك اليوم) !

٣ ــ ٥ فجاء (زيد) فقال : يا رسول الله ، **انى اريد ان افارق صاحبتى .**

٣ ــ ٦ فقال (رسول الله) : **مالك ؟ أرابك منها شىء ؟**

فقال : لا والله يا رسول الله . ما رابنى منها شىء ، ولا رأيت الا خيرا .

٣ ــ ٧ فقال له رسول الله ﷺ : **امسك عليك زوجك واتق الله .**

فذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ **واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه** ﴾ .

---

(١) تاريخ الطبرى : ج ٢ ــ ص ٥٦٢ ، ٥٦٣

(قال الطبرى) : تخفى فى نفسك ان فارقها (زيد) تزوجتها »[1] .

*

● نظرة على هذه الروايات الثلاث :

١ ــ تتناقض الرواية الأولى (لابن اسحق) مع الروايتين : الثانية والثالثة (للطبرى) فى نقطة جوهرية ، هى المدخل الرئيسى لكل منها . فبينما تقول الأولى : ان زيدا كان مريضا بمنزله ، وزينب امرأته جالسة عند رأسه ، ورسول الله جالسا معهما يعوده (الفقرة ١ ــ ١) ، اذ تقول روايتا الطبرى : ان زيدا كان خارج منزله .

ان هذا يعنى ــ بداءة ــ اسقاط احدى المجموعتين بالكلية : فاما رواية ابن اسحق ، واما روايتى الطبرى . فزيد لا يمكن أن يكون فى منزله ، وخارج منزله فى وقت واحد ، الا اذا كان ابن الذكى ، من رجال الاساطير ... !

٢ ــ حسب الرواية الأولى : كان زيد أول من سمع تسبيحة الرسول بأذنيه (الفقرة ١ ــ ٣) ، بينما نقلتها زينب الى زوجها بزعم أنها قد سمعتها (الفقرة ٢ ــ ٧) أما الرواية الثالثة فقد أسقطت التسبيحة تماما .

٣ ــ تحولت التسبيحة ــ فى الرواية الأولى ــ من قوله ﷺ : سبحان مقلب القلوب والأبصار الفقرة ١ ــ ٣) لتكرن فى الرواية الثانية ــ بعد ١٥٠ سنة تفصل بين ابن اسحق وبين ابن جرير الطبرى ــ فى صيغة : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦٢

٤ ــ اختلفت روايتا الطبرى (الثانية والثالثة) معا فيما يتعلق بنقطة جوهرية وهى : كيف رأى رسول الله زينب فى بيتها أول مرة •

فعلى حسب الرواية الثانية ، وبضم الفقرتين (٢ ــ ٢) ، (٢ ــ ٤) وهو شىء يتطلبه وصف الأحداث ، نجد أن رسول الله وقف بباب زيد يسأل عنه ، وهناك من أخبره بعدم وجود زيد (الفقرة ٢ ــ ١) ، وحتى تلك اللحظة لم ير زينب ولم تره • لكن هناك من أخبرها بوجود رسول الله بالباب (الفقرة ٢ ــ ٤) فعجلت زينب أن تستكمل لبسها ، ومن ثم خرجت اليه فضلا •

بينما تقول الرواية الثالثة : أن رسول الله لما وقف بباب زيد ، رفعت الريح ستر الشعر ، فرآها حاسرة (الفقرة ٣ ــ ٢) •

٥ ــ وبناء على رؤية رسول الله لزينب : فضلا أو حاسرة ، زعمت الروايتان أنها أعجبته (الفقرتان ٢ ــ ٥) ، (٣ ــ ٣) • ولما كان هذا الاعجاب جاء تأسيسا على روايتين متناقضتين ، تعطى كل منهما صورة مختلفة عن الأخرى ، كان ذلك الاعجاب المزعوم قائما على غير أساس ، وصار بالتالى زعما باطلا •

لقد جهل القائلون بذلك الاعجاب المزعوم مجموعة من الحقائق منها : أن زينب ابنة عمة رسول الله ، وأنه يكبرها بنحو ٢٠ عاما ، ومن ثم فهو يعرف كل خصائصها الجسمانية والنفسية ، وأنه هو الذى خطبها الى زيد وأصر على اتمام الزواج رغم معارضتها هى وأخيها•

ولما كانت حياتها الزوجية مع زيد قد استمرت نحو ١٣ عاما على كره منها ، ودون انجاب لذرية تخفف من ذلك الشقاء ، كان معنى هذا أن جمال زينب الذى دخلت به بيت زيد أول مرة قد ذبل سريعا وانحسر خلال تلك السنين الطوال • ومن ثم يستحيل القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب بعد ذلك ــ فضلا أو حاسرة ــ قد فجئه جمالها فوقع اعجابها فى قلبه •

ان ذلك وهم نسجه خيال مريض ...

ففى تقديرى ــ بعد ما رأينا من تهالك تلك الروايات ــ **أن الريح لم تعبث بستر الشعر الذى قيل انه كان على باب حجرة زينب بنت جحش** (كما تدعى الرواية الثالثة) **فانكشفت ، وانما هو الخيال الجنسى الذى عبث بفكر أولئك الرواة ...**

٦ ــ واذا كان ذلك الاعجاب المزعوم قد جاء استنتاجا من تسبيحة رسول الله (الفقرتان ١ ــ ٣) ، (٢ ــ ٦) ، فذلك هو الجهل بعينه ، وهو حكم طائش فقد العلم والروية .

لقد كان استخدام رسول الله لفظ : « **مقلب القلوب** » لازمة من لوازمه . فعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين . ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ اذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »[1] .

ولقد علم القرآن المسلمين أن يسبحوا الله فى كل حين فقال :

« **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا** »
(الأحزاب : ٤١ ــ ٤٢)

وعلمهم أن يسبحوا الله حين يتعرضون لمواقف تفرض عليهم سماع منكر من القول وزور ، أو رؤية ما لا ينبغى أن يرى من الحرمات . ففى حديث الافك ــ وكل أفك ــ يقول القرآن العظيم :

« **ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** » (النور : ١٦) .

فاذا كان رسول الله لا يشغل نفسه بتسبيح الله فى مختلف

---

(١) رواه الترمذى فى الدعوات باب : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى » .

المواقف ، وبمختلف الصيغ ومنها لفظ « مقلب القلوب » الذى هو احدى لوازمه ، فمن غيره يفعل ذلك ؟!

واذا صح شيء من هذه الروايات المتناقضة ، وأن رسول الله قد سبح الله بعد رؤيته زينب : فضلا ، أو حاسرة ، أو حتى شبه عارية ، فما تأويل ذلك ؟

لا يعلم تأويله الا الله ، الذى ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ ، ويعلم تأويله رسول الله الذى أعلن تسبيحه ، وهو أعلم بنفسه من الناس • وحيث انه لم يؤثر عنه حديث يشرح خفايا هذا الموقف ، كان حريا بكل مسلم ـ لا ! بل بكل ذى عقل وضمير ـ أن يفسر تلك التسبيحة على ضوء تعاليم القرآن ، وخاصة الآية رقم ١٦ من سورة النور •

فتسبيحة رسول الله ﷺ تلك لا تعنى ـ اذن ـ سوى اعتذار عن رؤيه ما كان ينبغى ألا يرى ...

أما اذا فسرها بعض المسلمين على أنها دلالة على اعجاب رسول الله ﷺ بزينب ، فهذا افتراء عليه ، وقول سفه بغير علم ، حسابه عند الله ، حتى لو كان مصدر ذلك : زيد بن حارثة ، ومن خلفه من المفسرين •

هى اذن سقطة من صديق ، وما أفظع سقطات الأصدقاء ...

لقد عقلها كاتب مسيحى متنور ـ هو الدكتور نظمى لوقا ـ بينما غابت عن مسلمين مخلصين • فهو يقول : ان محمدا « ليعلم علم اليقين ـ وهو الانسان ذو القلب الكبير ـ أن هوى القلب لا حيلة للمرء فيه ، ولا يأتمر بارادة أو يذعن لعقل • فهو لا يستطيع أن يلوم زينب لأن قلبها عصاها ، وأبى أن يهفو للفتى الذى يحبه هو حب الأبناء •

وعلى هذا التأويل أعقل أنا قوله : سبحان مصرف القلوب !

اى سبحان الذى صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى الوسيم زيد ، فلم تستطع أن تسكن اليه بعد أن تزوجته طائعة مذعنة •

ذكر الرسول عندئذ ربه وحكمته ، فكيف بعدئذ يلومها على ما لا تملك من هوى قلبها ، وسبحان مصرف القلوب » ! [1] .

٧ ــ زعمت الروايتان الأولى والثانية أن زيدا عرض على رسول الله أن يطلق زينب بعد أن فهم من تسبيحته أنها ربما تكون قد أعجبته (الفقرتان ١ ــ ٤) ، (٢ ــ ٨) ، بينما أوردت الرواية الثالثة سببا آخر مختلفا تماما ، وهو أن زيدا كره زينب منذ تلك اللحظة ، فذهب الى رسول الله يستأذنه فى فراق زوجته (الفقرة ٣ ــ ٤) .

٨ ــ أجمعت الروايات الثلاث على أن رسول الله رفض عرض زيد بتطليق زينب ، مهما كانت دوافعه (الفقرات ١ ــ ٥) ، (٢ ــ ٩) ، (٣ ــ ٦) ، (٣ ــ ٧) . ورغم الحاح زيد فى تطليقها ، فقد كان رسول الله مصرا على ابقائها فى عصمته .

هذا ــ وقد نقل ابن هشام عن ابن اسحق ، وعن الطبرى نقل البيضاوى والزمخشرى وآخرون . وقد عرفنا ــ منذ قليل ــ خلفية ابن اسحق والطبرى وكيف كانا يجمعان رواياتهما ويكتبونها ، ومن هنا جاءت تلك الروايات المهلكة ، والتى لا تصمد الواحدة منها للدراسة والتمحيص .

على أن بعض المفسرين أسقطوا تلك الروايات من حسابهم لما فيها من تخبط وضعف واضح . ومن هؤلاء ابن كثير الذى قال فى تفسير قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه » : « ذكر ابن أبى حاتم ، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها .. لكن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنها (زينب بنت جحش) ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها . فلما أتاه زيد

---

(١) محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا ص ١٢٥ ــ ١٢٦

رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ فقال : قد أخبرتك أنى مزوجكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى انه قال نحو ذلك » .

وكذلك قال الخازن فى « لباب التاويل فى معانى التنزيل » « ان المراد بقوله تعالى ﴿ وتخفى ﴾ ان الذى أخفاه ، علمه بانها ستكون زوجته ، وأنه عوتب على هذا الاخفاء . وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى » .

* *

● مواقف حرجة فى حياة الأنبياء :

أنبياء الله بشر ولدوا جميعا من نساء جئن من ذرية آدم ، اصطفاهم الله ، فهم : ﴿ عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ﴾ . (الانبياء : ٢٦ ، ٢٧) . وبين امر الله والعمل فى خدمة رسالاته ، حمل المرسلون أثقالا ، وتعرضوا لضغوط عالية ومواقف حرجة ، وقاسوا محنا وآلاما ، وكانت حياتهم جهادا خالصا فى سبيل الله.

وترينا دراسة أحوال الأنبياء والمرسلين أن الأمور لم تجر دائما وفق مشيئتهم . فلم يكن لهم « من الأمر شىء » لأن « الامر كله لله » ومن هنا كان الصراع العنيف ، وكانت المعارك الطاحنة ، فى داخل تلك النفوس البشرية بغرائزها المعروفة ، والعالية بتساميها ، قبل أن تكون فى خارجها .

ويذكر الكتاب المقدس أن موسى اعتذر عن قبول الرسالة الالهية فى أول وحى تلقاه ، وتعرض بذلك لغضب الله ، الا أن رحمته الواسعة ـ سبحانه ـ تداركته :

« قال موسى للرب : استمع أيها السيد ! لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .

فقال له الرب : من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟! فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .

فقال : استمع أيها السيد ! أرسل بيد من ترسل !

فحمى غضب الرب على موسى ـ خروج ٤ : ١٠ ـ ١٤ » .

وحين كره بنو اسرائيل أكل المن والسلوى « وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ و ...

فلما سمع موسى الشعب يبكون .. وحمى غضب الرب جدا ، ساء ذلك فى عينى موسى . فقال موسى للرب : **لماذا أسأت الى عبدك ، ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على . ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب ، أو لعلى ولدته ، حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع .. لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لانه ثقيل على . فان كنت تفعل بى هكذا ، فاقتلنى قتلا ان وجدت نعمة فى عينيك . فلا أرى بليتى** ـ ـ عدد ١١ : ٤ ـ ١٥ » .

لقد دفع الضيق والحرج موسى أن يطلب الموت لنفسه !

وفى قصة النبى صموئيل وشاول نجد صورة من عتاب الله لأنبيائه ، ذلك العتاب الذى يصل حد التوبيخ . ذلك أن صموئيل هو الذى مسح شاول ملكا على بنى اسرائيل فصار مسيحا حل عليه روح الله ، ونبيا . لكن شاول أخطأ باجتهاده مرة ، فكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : **ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا ، لانه رجع من ورائى ولم يقم كلامى** ـ صموئيل الأول ١٥ : ١٠ » .

فرفض الرب شاول ، وأعلم نبيه صموئيل بذلك ، فحزن حزنا

شديدا من أجل شاول واستمرت مشاعره طيبة نحوه • وكأن غضب الله على شاول لم يكن كافيا لأن يراعى صموئيل ذلك ، فيكبت عواطفه الطيبة نحو شاول ويجعل الاعتبار لأمر الله وحده • وهنا عاتب الله صموئيل عتابا شديدا ، « فقال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول . وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ؟! ــ صموئيل الأول ١٦ : ١ » •

وحين هرب الياس (ايليا) من وجه الملك الطاغية آخآب ، ذهب ليختبىء بأمر الله عند امرأة أرملة تعوله • « مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة • فقالت لايليا : مالى ولك يا رجل الله ! هل جئت لتذكير اثمى واماتة ابنى ؟!

فقال لها : اعطينى ابنك .. وصرخ الى الرب وقال : ايها الرب الهى ! ايضا الى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بأماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب .. فسمع الرب لصوت ايليا . فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش ــ الملوك الأول ١٧ : ١٧ ــ ٢٢ » •

ومنذ بدأ القرآن يتنزل على محمد رسول الله ، أعلمه ربه أن الأمر جد وعبء ثقيل ، فقال فى واحدة من أوائل السور نزولا : ﴿ **انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (المزمل : ٥) •

وأعلمه أنه سيتعرض لضغوط شديدة ، ومواقف حرجة ، فقال سبحانه : ﴿ **كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين** ﴾ (الأعراف : ٢) •

﴿**طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين**﴾ (الشعراء : ١ ــ ٣)[1] •

---

(١) باخع نفسك : اى قاتلها غما .

﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ، انما انت نذير ، والله على كل شيء وكيل ﴾ (هود : ١٢) .

وها هى سورة الأحزاب تبدأ بما لم تبدأ به سورة أخرى من سور القرآن ، فتقول مخاطبة رسول الله : ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، أن الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى اليك من ربك ، أن الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا ﴾ (الأحزاب : ١ ــ ٣)

فهى تحمل اربع أوامر لرسول الله ، أولها : ﴿ اتق الله ﴾ ولم يوجه مثل هذا القول اليه فى أى سورة أخرى من سور القرآن .

ثم يعقب ذلك قول حاسم فى ابطال بعض أعراف الجاهلية ومنها عادة الابناء الأدعياء :

﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما ﴾ (الأحزاب : ٤ ــ ٥)

فمن الواضح أنه من أوائل مقاصد هذه السورة ، ابطال دعوى التبنى الزائفة ، فاستفتحت بهذا الأمر الالهى ، ليكون تشريعا تخضع له جميع الحالات .

وفى حياة الناس ، تكتسب قوانينهم الوضعية الثقة حين يبدأ

التطبيق بأولى الأمر • وما كان غير رسول الله ليفرض عليه البدء بجعل التشريع الالهى واقعا ملموسا • ولهذا جاءت الآية السابعة والثلاثون من نفس السورة لتعالج واقعا يرتبط به ــ عليه الصلاة والسلام ــ وتقرر أن الله زوجه مطلقة دعيه زيد بن حارثة ، ليبطل بذلك احدى دعاوى الجاهلية •

﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان امر الله مفعولا ﴾
(الأحزاب : ٣٧)

لقد شعر رسول الله بحرج شديد اذ قد علم بأن زينب ستكون احدى زوجاته ، وقدر ما سيقوله المتربصون بالاسلام ونبيه • وفى صراعه النفسى بين هذا وذاك ، اضطر أن يقول لزيد كلما جاءه يستأذنه فى طلاق زينب : **﴿ امسك عليك زوجك واتق الله ﴾** فلعل « الله يحدث بعد ذلك أمرا » • فقضاء الله نافذ لا محالة ، وكل ما يرجوه العبد أن يكون الانفاذ بأقل الخسائر •

من هنا كان رسول الله فى أشد حالات الحرج والضيق ، ولكنها لازمة من لوازم الأنبياء والمرسلين •

❋

ولهذا جاءت الآية التالية لآية تزويج النبى بمطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، تدعو لكسر حاجز الحرج (الآية ٣٨) ، وتؤكد على ضرورة خشية الله وحده واسقاط أى اعتبار لخشية تقولات الآخرين (الآية ٣٩)، ثم التأكيد مرة أخرى على أن محمدا رسول الله ليس أبا لزيد بن حارثة ولا لغيره (الآية ٤٠) •

﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا •

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون احدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا •

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما ﴾ .

❋

وآخيرا نقول : رحم الله زينب بنت جحش ، كانت كما شهدت لها غريمتها عائشة : « لم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب ، وأتقى لله ، واصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب به الى الله عز وجل »[1] .

ولقد كانت أول من مات من نساء النبى بعده ، فكانت أسرعهن لحاقا به .

❋ ❋

جويرية بنت الحارث : « بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له — وقائدهم الحارث بن أبى ضرار .. فلما سمع رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء يقال له « المريسيع » ، من ناحية قديد الى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق »[2] .

لقد قتل من بنى المصطلق عشرة ، وقتل من المسلمين رجل يقال له هشام بن صبابة . ولم يجد بنو المصطلق ، بعد قليل من التراشق بالنبال ، مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين السريع ، فوقعوا فى الأسر ، وكانت جويرية بنت الحارث قائد بنى المصطلق من بين السبايا . « وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته . فلما كان بالعقيق ، نظر الى الابل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق . ثم أتى النبى ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها . فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا ، وكذا ؟

---

(١) نساء النبى — ص ١٦٩

(٢) تهذيب سيرة ابن هشام — ص ١٩٧

فقال الحارث : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك محمد رسول الله . فوالله ما اطلع على ذلك الا الله .

فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل الى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن اسلامها ، فخطبها النبى ﷺ الى أبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها أربعمائة درهم »[1] .

فلما بلغ المسلمون الخبر ، أطلقوا من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق باعتبارهم أصهار رسول الله ، فأعتق بزواج جويرية من رسول الله نحو أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق .

وجدير بالذكر أن شريعة موسى تقول فى سبايا الحرب : « اذا خرجت لمحاربة أعدائك ، ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا . ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة ، فحين تدخلها الى بيتك ، تحلق رأسها ، وتقلم أظفارها ، وتنزع ثياب سبيها عنها ، وتقعد فى بيتك ، وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان ، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها ، فتكون لك زوجة ـ تثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٣ » .

ولقد كانت عائشة تقول عن جويرية : ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

* *

صفية بنت حيى بن اخطب : كان لليهود الدور الحاسم فى تجميع القرشيين وغيرهم ، فى محاولة أخيرة لغزو المدينة والقضاء على محمد

---

(١) سيرة النبى : لابن هشام ـ المجلد الثالث ـ ص ٢٥٣

ﷺ ومن معـه . وكان من زعمائهم : سـلام بن أبى الحقيق النضرى ، **وحيى بن اخطب النضرى** .. فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ـ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم أهـل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيـه نحن ومحمد ، **أفديننا خير أم دينه ؟**

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصـيرا** ﴾ (النساء : ٥١ ـ ٥٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لمـا دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك .. فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

وخرج **حيى بن اخطب النضرى** حتى أتى كعب بن أسد القرظى .. وكان قـد وادع رسـول الله ﷺ على قومـه (بنى قريظـة) وعـاقدة على ذلك وعاهـدة . . فقـال **حيى** : ويحـك يا كعب ! جئتـك بعـز الدنيـا وببحـر طـام ، جئتـك بقريش على قادتهـا

وسادتها • وبغطفان على قادتها وسادتها •• قد عاهدونى وعاقدونى على **الا يبارحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه** .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر •• ويحك **يا حيى ! فدعنى** وما أنا عليه **فانى لم ار من محمد الا صدقا ووفاء** ••

فلم يزل حيى بكعب •• حتى نقض كعب بن أسـد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ »[1] .

وهكذا كان لحيى بن اخطب ـ سيد بنى النضير ـ الدور الحاسم فى حشد أعداء المسلمين فى محاولة للقضاء عليهم قضاء مبرما .

لكن هـذا التجمع العدوانى الذى عرف باسم **الأحزاب هزمه الله** شر هزيمة فيما عرف باسم **غزوة الأحزاب** ، ، فرجعوا عن المدينة خائبين يجللهم الخزى والبـوار .

لقد أظهرت غزوة الخندق أنه لا أمان مع اليهود ، فهم ناقضـو العهـود . فلما كان النصف الأول من العام السـابع الهجرى ، خرج رسول الله الى خيبر بحصونها المنيعة . وكان حصار وكان قتال انتهى بأن طلبوا الصـلح على أن تحقن دماؤهم ، وقـد قبـل رسـول الله ﷺ ذلك ، ولقد كانت **صفية بنت حيى بن أخطب** من بين سبايا هـذه الغزوة ، فجاء « **دحية** فقال (لرسول الله ﷺ) : أعطنى جارية من السبى.

قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيى .

فقيل : يا رسول الله ، انها سـيدة قريظة والنضير ، ما تصلح الا لك .

فقال له النبى ﷺ : خذ جارية من السبى غيرها »[2] .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ١٧٦ ـ ١٧٩

(٢) نهاية الأرب ـ ص ١٨٧

وهكذا تزوج رسول الله ﷺ صفية ؛ ولم ينجب منها ذرية ، وكانت قبله قد تزوجت مرتين .

* *

أم حبيبة بنت ابى سفيان : تزوج رسول الله ﷺ « أم حبيبه بنت أبى سفيان . وكانت قبله عند عبد الله بن جحش بن رئاب .. كان تزوجها وهى بكر ؛ وكان له منها حبيبة ابنة عبد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة . وقد تنصر (هناك) بعد اسلامه . وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة » .

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل « عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ؛ فزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، وساق عنه أربع مائة دينار »[1] . وقد تم الزواج بالحبشة بحضور المسلمين وفيهم جعفر بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد بن أمية كبير المهاجرين من قومها بنى أمية .

لقد بقيت أم حبيبة ـ بعد هذا العقد على بعد ـ سنوات فى الحبشة ولكن بعد أن ردت اليها كرامتها ، واستوثقت أن خروجها مهاجرة فى سبيل الله ، ما كان الله ليضيعه ، فجاءها خير عوض بتزويجها من رسول الله . فلم يكن أحد يعانى مثل ما عانت أم حبيبة : بين زوج فى المهجر معها ما لبث أن تخلى عن دينه وأهله ثم هلك ، وأب فى الوطن ـ مكة ـ لا يزال على كفره ، بل انه ليتزعم الكافرين فى حربهم ضد الاسلام . لكن الله سلم ، بعد أن حملت اسم رسوله زوجا لها .

وبعد سنوات بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، ليعود بمن بقى من المهاجرين ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم الى المدينة يوم فتح خيبر ، وكانت أم حبيبة مع العائدين . وحين أبصر رسول الله ـ فى عودته المظفرة من خيبر ـ

---

(١) سيرة ابن اسحق ـ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢

ابن عمه جعفر بن أبى طالب عائدا على رأس المهاجرين ، قبله بين عينيه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر ! بفتح خيبر أم بقدوم جعفر !

ولقد احتفلت المدينة بدخول أم حبيبة بنت أبى سفيان بيت النبى ، وأولم خالها عثمان بن عفان وليمة تتناسب وما حل بالمسلمين فى تلك الايام من أفراح .

وما كان رسول الله ليخلد الى شىء يسير من الراحة والسكن فى بيت النساء ، فالأحداث سريعة ومتلاحقة ، وهاهى قريش قد نقضت **صلح الحديبية** . ولما كانوا يتوقعون أن يأخذ الرسول زمام المبادرة فيباغتهم فى حملة تأديبية ، بعد أن صار المسلمون قوة لا يستهان بها ، فقد أرسلوا زعيمهم أبا سفيان فى محاولة لتجديد الهدنة . وما يهمنا فى هذا المقام هو ما كان بين أبى سفيان وبين ابنته أم حبيبة التى غابت عنه سنوات مهاجرة من أجل عقيدتها .

« خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينه فدخل على ابنته أم حبيبة .. فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال يا بنية : ما أدرى ! أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟!

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .

قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر » ! [1] .

*

وهكذا ، كانت هجرة أم حبيبة **فى سبيل الله** ، وكان زواج الرسول منها فى سبيل الله .

* *

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ــ ص ٢٣١

مارية القبطية : بعث رسول الله رسلا الى هرقل امبراطور الروم ، وكسرى ملك فارس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وغيرهم ، يدعوهم الى الاسلام .

وقد كان رد المقوقس يحمل فى ثناياه التصديق ينبى منتظر مع حرص شديد على سلطانه بابقاء الحال على ما هو عليه . فقال فى كتابه الى رسول الله : « أما بعد .. فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ..

وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ، ومطية لتركبها . والسلام عليك »[1] .

وكانت الجاريتان هما : **مارية** التى تسرى بها النبى ، **وسيرين** التى أعطاها لحسان بن ثابت .

وبعد نحو عامين حملت مارية من رسول الله ، ولما اكتمل حملها ولدت له ابنا ، فرح به كثيرا ، وسماه ابراهيم تيمنا بجده الأكبر ابراهيم أبى الأنبياء .

لكن الفرحة لم تدم طويلا ، فما هو الا عام وبعض عام ، حتى توفاه الله ، وحزن لذلك الرسول والمسلمون ، حزن الصابرين المحتسبين . ولقد حدث يوم وفاة ابراهيم ودفنه فى قبره أن انكسفت الشمس ، فقال بعضهم : انها انكسف لموت ابراهيم .

وما أن بلغ هذا القول رسول الله حتى التفت الى أصحابه يقول : « **ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته** » .

لقد كان رسول الله يومئذ فى أشد حالات الحزن ، لكنه لم يستطع السكوت على غير ما علمه الله من حقائق الدنيا

---

(١) نساء النبى ـ ص ٢١٥

والآخرة ، فانتزع نفسه من أحزانها ليرد المسلمين الى الصواب ، ويخرجهم من تخرصات الظنون والأوهام .

* *

ميمونة بنت الحارث : خرج رسول الله فى العام السادس الهجرى ومن معه من المسلمين قاصدين بيت الله الحرام بمكة لاداء العمرة . لكن قريش صدتهم عن ذلك . ولما كان الرسول لا يريد الحرب ، فقد أجرى معهم مفاوضات شاقة انتهت بتوقيع صلح الحديبية الذى كان فى شروطه أن يرجع هو وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا اليها فى العام القادم فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة أيام ، ومعهم من السلاح السيوف فى قربها ، ولا سلاح غيرها .

فلما كان العام التالى جاء رسول الله وأصحابه معتمرين ، فجلت قريش عن مكة ، وفق صلح الحديبية ، وصعدت التلال المجاورة ، تطل على البيت الحرام ، وترقب الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه .

ولقد كان المنظر أخاذا ، فها هو محمد وصحبه الذين خرجوا منها مهاجرين خلسة ، وفرارا بدينهم منذ سبع سنوات ، يعودون اليها اليوم أشداء ، أقوياء العزيمة كما عبر عن ذلك قوة رجع تكبيرهم وتلبيتهم نداء ربهم.وهناك لم تملك واحدة من اكرم نساء العرب ضبط مشاعرها وهى تطل على ذلك المشهد المهيب ، حتى وهبت نفسها للنبى . تلك كانت ميمونة بنت الحارث ، شقيقة أم الفضل زوج العباس عم رسول الله .

وما كان رسول الله ليرد من جادت بنفسها ، ففبل الزواج منها . ولقد رأى بثاقب بصره أن هذه قد تكون فرصه طيبة تتآلف فيها القلوب ، وتخفف قريش من عدائها لأبنائها الذين أسلموا ولم يجدوا مفرا من الهجرة الى المدينة حفاظا على ايمانهم بالله الواحد الأحد ، فاقترح عليهم رسول الله أن يدخل

بميمونة بينهم ، فقال لمبعوثى قريش اليه : « ما عليكم لو تركتمونى فأغرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه » ؟

لكن المبعوثين أجابا فى غلظة وجفاء : « لا حاجة بنا الى طعامك ، فاخرج عنا » . فلم يتردد رسول الله فى النزول على رأيهما تنفيذا لعهده مع قريش الذى يقضى بألا تزيد مدة الاقامة فى مكة عن ثلاثة أيام ، فخرجوا من مكة عائدين الى المدينة .

* *

● **نساء النبى :**

هؤلاء كن نساء النبى اللاتى دخل بهن : كان له من اثنتين منهن ذرية هما : خديجة ، ومارية ، وتوفى منهن فى حياته اثنتان هما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة التى لم تمكث معه سوى شهور قلائل . ولم تكن منهن بكرا سوى عائشة ، وأما الباقيات فكن ثيبات ، وخاصة من الأرامل المهاجرات .

ويلاحظ أنه فى أغلب حالات زواجه ، لم تكن المبادأة من جانبه .

ففى حالة خديجة ، جاء الاقتراح من صديقتها نفيسة بنت منية ، فكان رده : **ما بيدى ما أتزوج به** . وهنا تشجعت خديجة فأرسلت اليه تدعوه أن يتزوجها . ولما ماتت خديجة ، وترمل رسول الله زمنا ، عرضت عليه **خولة بنت حكيم** أن يتزوج ، ليخرج من أحزانه على خديجة وتنتظم أمور بيته ، ثم اقترحت عليه اسم عائشة بنت أبى بكر، فلما أجابها قائلا : **لكنها ما تزال صغيرة** ، اقترحت عليه أن يتزوج **سودة بنت زمعة** ، أرملة من المهاجرات ، فقبل .

ولقد كان زواجه من **حفصة بنت عمر** ، حفظا لماء وجه أبيها الذى شعر بالمهانة حين عرضها على أبى بكر فاعتذر بصمته ، ثم عرضها على عثمان فرد بالرفض ، ثم هى أرملة شهيد قرشى .

ولم يكن بد من زواجه من **زينب بنت جحش** ، مطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، انصياعا لأمر الله .

ولم تكن المبادأة من جانبه حين تسرى بمارية ، فلقد أرسل اليه المقوقس عظيم القبط جاريتين ، اكتفى بواحدة هى مارية ، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت • وفى ظروف كتلك ، جرى العرف أن يضم الجاريتين الى نسائه •

وما كان له من دافع فى زواجه **بميمونة بنت الحارث** ، فهى شقيقة امرأة عمه العباس ، وهى التى وهبت نفسها له •

أما المبادأة من جانب رسول الله ﷺ فكانت فى حالات اخرى هى :

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التى كانت أرملة شهيد ، **وام سلمة** أرملة شهيد قرشى هو ابن عمته ، **وأم حبيبة بنت ابى سفيان** ، **تزوجها** على البعد ، وهى فى الحبشة ، ليقيل عثرتها ، ولم يدخل بها الا بعد سنوات • ثم كان زواجه من **جويرية بنت الحارث** ، **وصفية بنت حيى ابن اخطب** وقعتا أسيرات ، وكانت كل منهما : ابنة سيد قومه • ولقد كان من تعاليمه صلى الله عليه وسلم التى التزم بها طوال حياته هى قوله : « **اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه** »(١) •

ولقد بدأ رسول الله تعدد الزوجات بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول وانتهى بميمونة قرب نهاية العام الهجرى السابع ، وكان أمر الله اليه : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من ازواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شىء رقيبا** ﴾ (الأحزاب : ٥٢) • ولقد توقف الرسول عن عن التزوج بعد ذلك ، وكان جملة من جمع بينهن تسع زوجات وسرية ، أى عشر نساء •

والآن ، نقول : ماذا لو أضاف رسول الله الى نسائه ـ مثلا ـ تسع زوجات أخريات ••• لقد كان مثل هذا القدر

---

(١) رواه ابن ماجه .

من التعدد سنة الأنبياء السابقين . أهل الوحى والحديث مع الله ، وان هذا ما علمناه من أنباء ابراهيم وجدعون وداود وسليمان ...

*

هـذا ـ ويقول **الدكتور نظمى لوقا** فى تقرير عام عن زوجات النبى : « هؤلاء زوجاته اللواتى بنى بهن ، وجمع بينهن . لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاء كما يزعمون . وما من واحدة منهن الا كان زواجه بها أدخل فى باب الرحمة واقالة العثار والمواساة الكريمة ، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة وهى بعد حديثة عهد بالدين الجديد .

هى ضريبة واجب اذن أو ضريبة مكانة وزعامة . وأخال لو كان له اخوة لزوجهم على ذلك المنوال ليحصلوا عنه بعض تلك الاعباء ..

وما كان من الهين على رسول قائد جيش وحاكم دولة محاربه ان يزيد أعباءه بما يكون فى بيت كثير النساء من خلافات على صغائر الأمور ... ولكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة .. وشتان ذلك وما يتشدقون به من أمارة النزوة و ...

واجب باهظ التكاليف من أعصابه وذهنه ، واجب أقدم البعض على استغلاله استغلالا منكرا . فرأينا من يعضلها أن تجد زوجا ، لا ترعى الحشمة وتذهب الرسول تعرض عليه نفسها ، متطاولة الى شرف أمومة المؤمنين ، وهى غير أهل لذلك الشرف بمجتد أو فضل أو سابقة جهاد . ويسكت محرجا لا يريد أن يجرح كرامة تلك المجترئة ، عسى أن تنصرف عنه . وهو يعلم أن قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه بابا لا قبل له به . ولولا أن أحد أصحابه جعل نفسه فداء للرسول فى ذلك الزواج بالهبة ، لأوذى فى حياته باحدى خطتين : اما التورط فى القبول ، أو المجاهرة بالرفض الصريح ...

وأنقذه القرآن بعد ذلك من مثل هذا التورط الفادح ، فحرم

المخطط النسبى لتعدد نساء الأنبياء

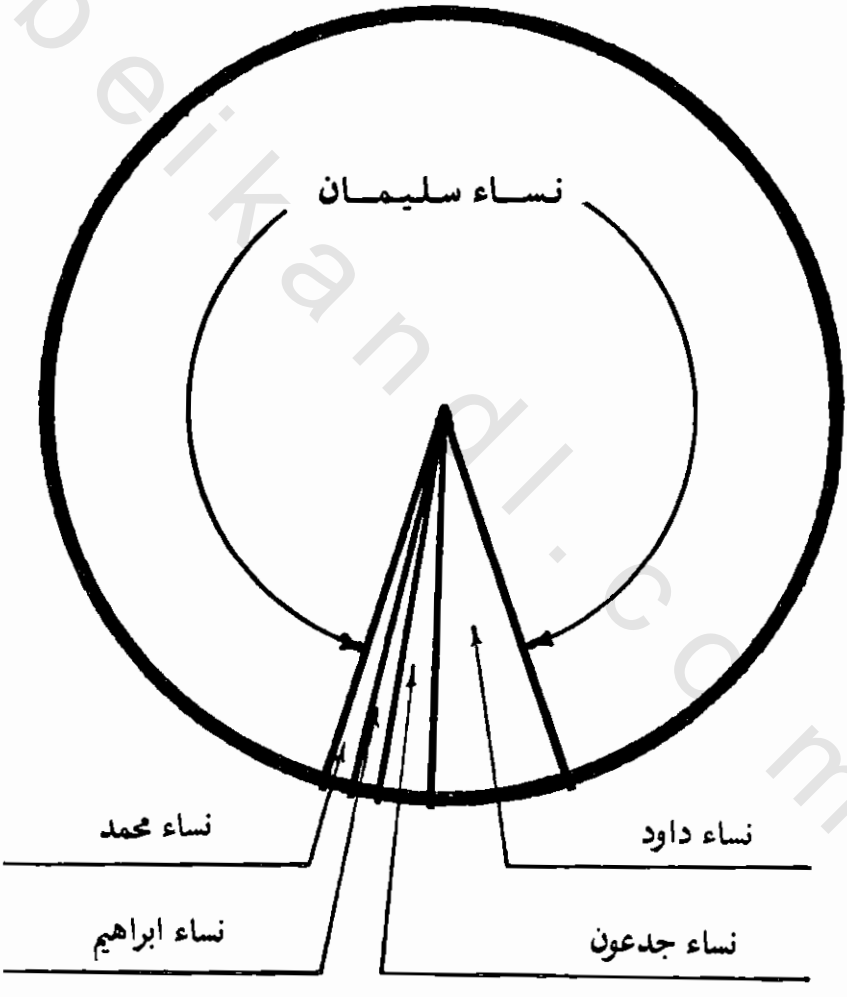

تتناسب مساحة القطاع مع عدد نساء النبى المناظر له

obeikandl.com

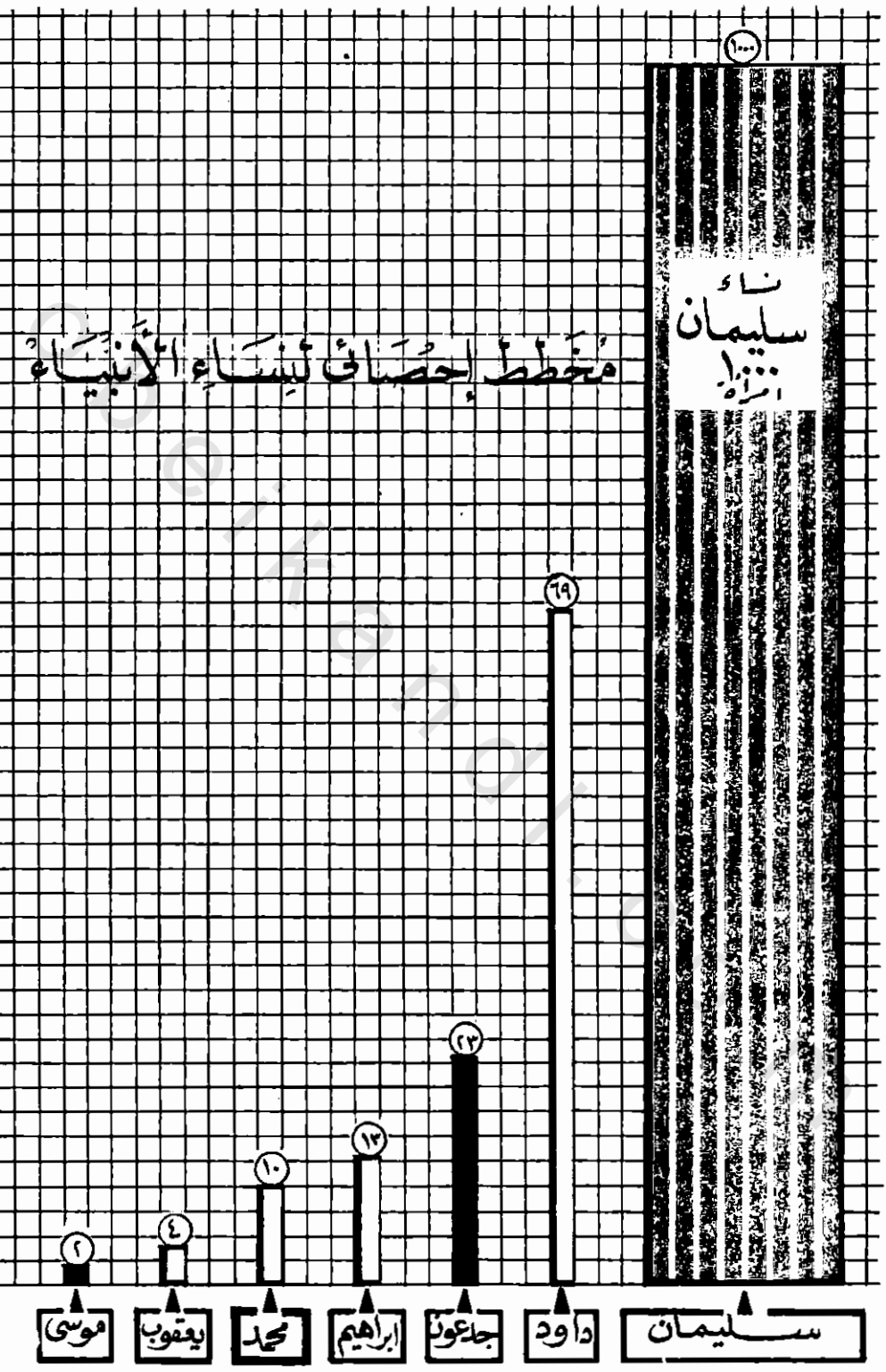
مخطط إحصائي لنساء الأنبياء
١٠٠٠
نساء سليمان
امرأة
٦٩
٢٣
١٤
١٠
٤
١
سليمان
داود
جدعون
ابراهيم
محمد
يعقوب
موسى

شكل رقم (١)

عليه بصريح النص فى سورة الأحزاب (الآية ٥٢) أن يتزوج النساء من بعد أو أن يبدل بهن أزواجا أخريات »[1] .

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى** ... ﴾ (الأحزاب : ٥٠) : « أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، انى قد وهبت نفسى لك . فقامت قياما طويلا .

فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة .

فقال رسول الله ﷺ : هل عندك شىء تصدقها اياه ؟

فقال : ما عندى الا ازارى هذا . فقال رسول الله ﷺ : ان أعطيتها ازارك . جلست لا ازار لك ، فالتمس شيئا . فقال : لا أجد شيئا . فقال : التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا .

فقال له النبى ﷺ : هل معك من القرآن شىء ؟ قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا ـ السور يسميها ـ فقال له النبى ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » .

*

وان نظرة على **المخطط الاحصائى لنساء الانبياء ـ شكل (١) ـ** لكفيلة ببيان ما كان من أمر تعدد نساء الأنبياء ، وتسهيل المقارنة بينهم فى هذا الجانب من حياتهم ، والذى دأب كثير على الخوض فيه بغير علم ، أو طمسا للحقائق بغرض التزييف .. فمن هذا الشكل يتبين أن عدد النساء لكل هؤلاء الأنبياء كالآتى : **سليمان ١٠٠٠ امرأة** ، داود ٦٩ امرأة ، جدعون ٢٣ امرأة ، ابراهيم ١٣ امرأة ، محمد ١٠ نساء ، يعقوب ٤ نساء ، موسى **امرأتان** .

*

---

(١) محمد فى حياته الخاصة ص ١١٠ ـ ١١١

ولننظر بتمعن أيضـ **المخطط الزمنى(١) لتعدد نساء داود ومحمد** ـ شكل(٢)ـ آخذين فى الاعتبار مجموعة من العوامل الهامة ، يأتى فى مقدمتها : أن محمدا صاحب رسالة الهية عالمية وشريعة جديدة وجب أن توضع موضع التنفيذ ، وهـو شيء لا عهـد للعرب بمثـله من قبـل • وفى هـذا يقـول القرآن تبكيتا لأولئك الجاحدين : ﴿ **ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون • بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتـدون • وكذلك ما أرسـلنا من قبـلك فى قرية من نذير الا قـال مترفوها انا وجـدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتـدون • قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسـلتم به كافرون** ﴾ (الزخرف : ٢١ ـ ٢٤) •

هذا ، بينما كان كل هم داود أن يثبت مملكته الصغيرة لتعمـل وفق شريعة موسى التى يعرفها بنو اسرائيل جيدا •

بعد ذلك تأتى عوامل : السـن وفترة الشباب وطور الشيخوخة ، ومرحلة الحروب المتتابعة ، ثم احتكاك القوة الاسلامية الناشئة بقوتى عصر النبوة العظميين وهما الروم والفرس •

على أن مقارنة بيانات المخطط تعطينا الآتى :

ـ عدد داود نسـاءه مبكرا فى حياته واسـتمر لمدة تزيد على ٥٠ سنة ، بينما عـدد محمد نسـاءه لمدة تقل عن ٩ر٥ من السنوات •

ـ ملك داود وعمره ٣٠ سـنة ، ومنذ ذلك الحين وبحكم عوامل الملكية والحروب والسبى ازدادت نسـاؤه • وقـد اسـتمرت فترة

---

(١) مقياس الرسم المذكور فى المخطط يمثل النسب قبل عمليـة تصغير الشكل الى ابعاده الحالية .

شكل رقم (٢)

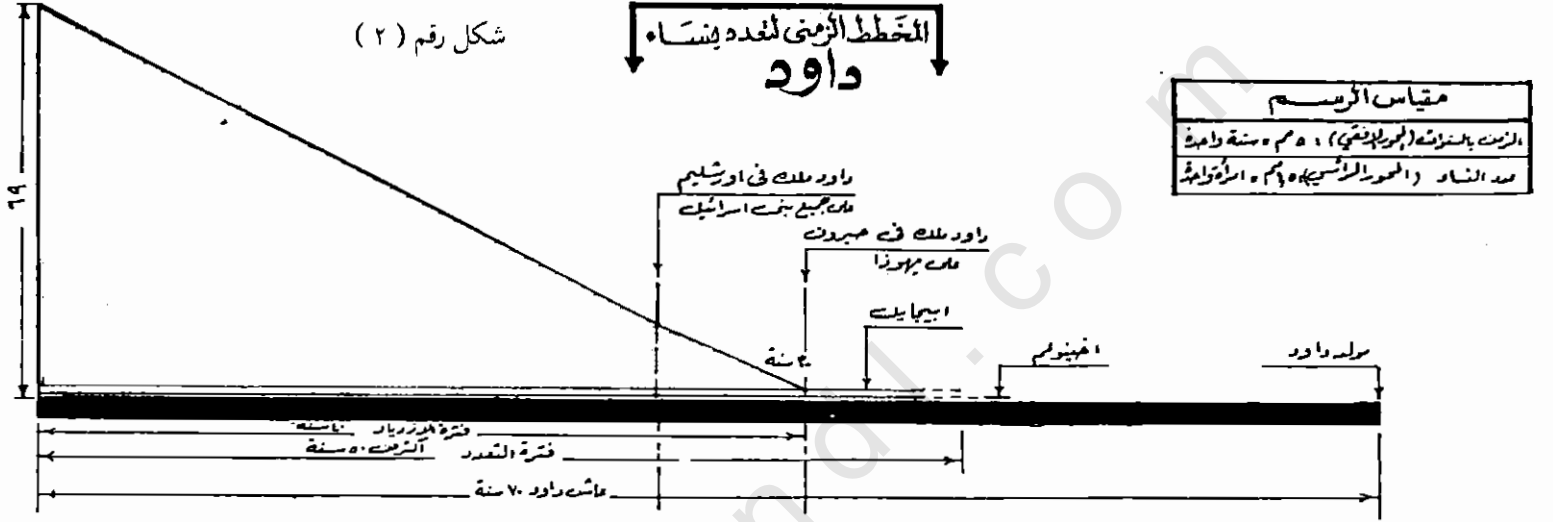
المخطط الزمني لتعدد نساء
داود
مقياس الرسم
الزمن بالسنة (المحور الأفقي) : ٥ سم = سنة واحدة
عدد النساء (المحور الرأسي) : ٥ سم = امرأة واحدة
٩٩
داود ملك في أورشليم
ملك جميع بنت اسرائيل
داود ملك في حبرون
ملك يهوذا
ابيجايل
٢٠ سنة
اخينوعم
مولد داود
فترة الميزرياد
الزمن ٥٠ سنة
فترة التعدد
عاش داود ٧٠ سنة

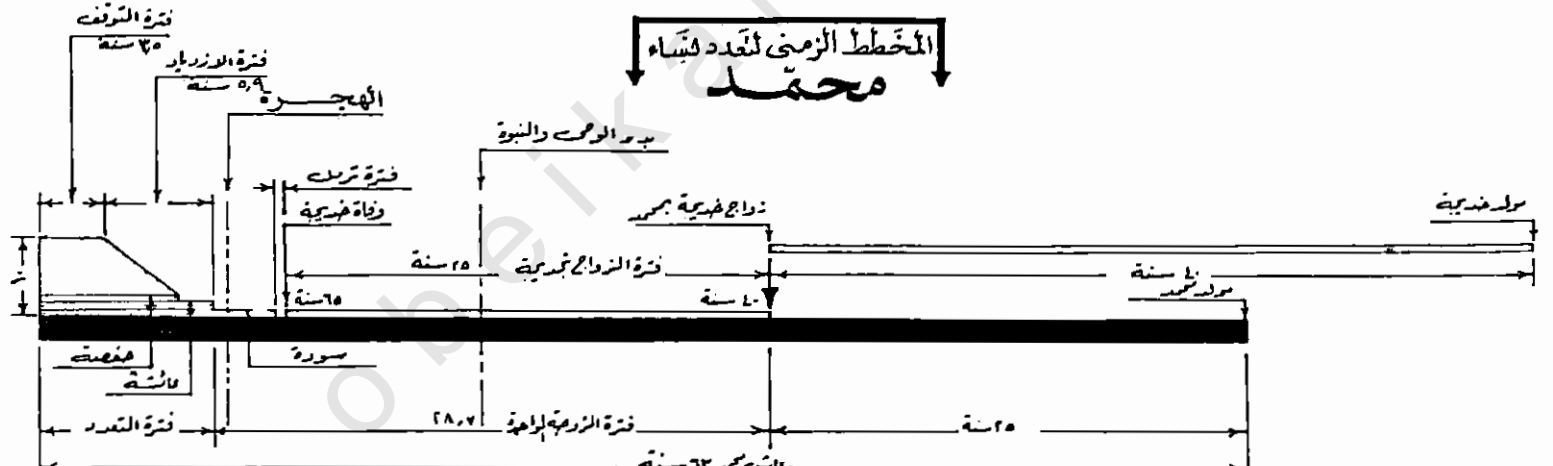
المخطط الزمني لتعدد نساء
محمد
فترة التوقف
٣٥ سنة
فترة الميزرياد
٥,٩ سنة
الهجرة
بدء الوحي والنبوة
فترة تريث
وفاة خديجة
زواج خديجة بمحمد
مولد خديجة
٢٥ سنة
فترة الزواج بخديجة
٤٠ سنة
٦٥ سنة
٤ سنة
مولد محمد
حفصة
عائشة
سودة
فترة التعدد
٢٨,٧
فترة الزوجية الواحدة
٢٥ سنة

شكل رقم (٣)

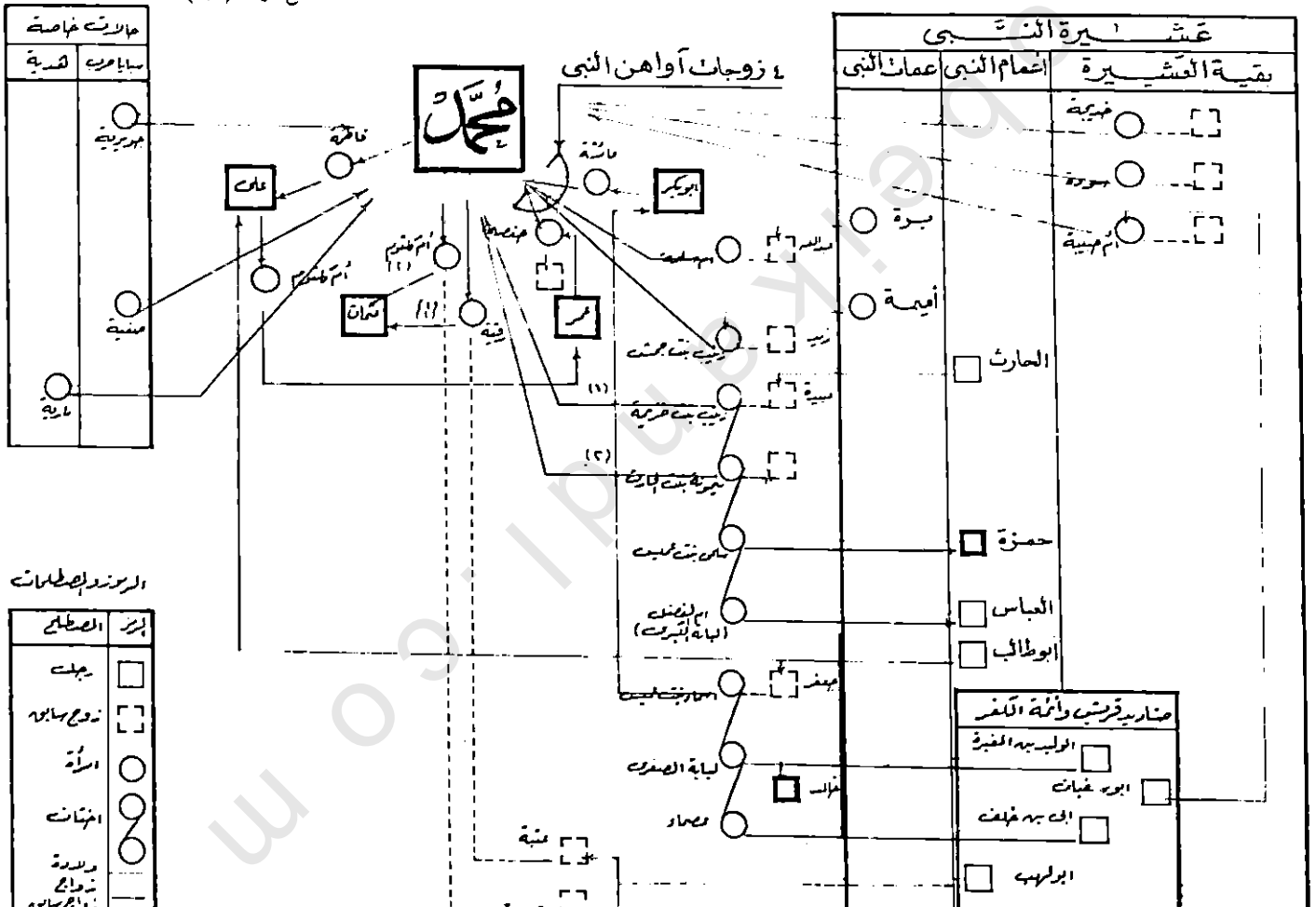
محمد
زوجات وأهل النبي
عائشة
أبو بكر
خديجة
فاطمة
علي
أم كلثوم (١)
عثمان (١)
رقية
عمر
(١)
(٢)
مارية
عشيرة النبي
بقية العشيرة
أعمام النبي
عمات النبي
خديجة
سودة
أم حبيبة
برة
أميمة
الحارث
حمزة
العباس
أبو طالب
أبو لهب
حالات خاصة
سبايا حرب
هدية
الرموز والاصطلاحات
الرمز
الاصطلاح
رجل
زوج سابقه
امرأة
امتزاج
ولادة

الازدياد حتى آخر سنى عمر داود ـ بأبيشج الشونمية ـ فبلغت ٤٠ سنة ، بينما بدأ محمد فترة الازدياد بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول ، وانتهى بيمونة بنت الحارث فى عمرة القضاء قرب نهاية العام الهجرى السابع ، فبلغت فترة الازدياد أقل من ٦ سنوات .

ـ توقف محمد بعد ذلك عن الزواج حتى نهاية حياته ، وكانت فترة التوقف هذه نحو ٣ر٥ من السنوات ، بينما لا يعرف لدواد فترة توقف حيث استمر الازدياد حتى نهاية حياته .

ـ أمضى محمد أكثر من ٢٨ سنة من حياته صاحب زوجة واحدة ، فقضى ٢٥ سنة مع خديجة ، أعقبتها فترة ترمل ، ثم نحو ٣ سنوات مع سودة الى أن جاءت عائشة .

ـ توفيت خديجة وعمرها ٦٥ سنة ، وكان عمر محمد صلى الله عليه وسلم ٥٠ عاما ، فقضى معها كل شبابه الى أن دخل شيخوخته .

*

هذا ، وترينا **شبكة العلاقات الزوجية والعائلية ـ شكل (٣)** ـ الصلات التى قامت بين رسول الله وأصحابه ، الأحياء منهم والشهداء ، وهم الذين كان لهم الدور البارز فى نشر الاسلام .

فهذه الصلات الزوجية ربطت أسماء لها بريقها الاسلامى مثل : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وهؤلاء جاهدوا أعظم الجهاد فى سبيل الاسلام بأموالهم وأنفسهم ، ثم كانوا فيما بعد الخلفاء الراشدين الذين أعلنوا « **لا اله الا الله** » للناس من المحيط الأطلسى غربا الى حدود الصين شرقا .

فلقد تزوج النبى ﷺ **عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر** .

وتزوج على فاطمة بنت محمد ﷺ .

ثم هناك سبع نساء آخوات هن **زينب بنت خزيمة** ، وميمونة بنت الحارث ، وسلمى بنت عميس ، وأم الفضل (لبابة الكبرى بنت الحارث) ؛ وأسماء بنت عميس ، ولبابة الصغرى بنت الحارث ، ثم عصماء بنت الحارث • وهؤلاء النسوة أمهن جميعا هى هند بنت عوف بن زهير ، ولدتهن من آباء مختلفين ، ثم كانت بهن صهرا الى سادة قريش وكبرائها •

ولقد تزوج النبى منهن اختين : الأولى ، زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التى بقيت معه بضعة شهور ، ثم توفاها الله • وكانت أرملة لعبيدة بن الحارث شهيد بدر ، وابن الحارث عم النبى •

وأما الثانية ، فكانت ميمونة بنت الحارث ، أرملة فى السادسة والعشرين من عمرها ، وهبت نفسها للنبى ، وكانت آخر زوجاته •

ولقد كانت أختهما الثالثة سلمى بنت عميس زوجة لحمزة عم النبى ، بطل غزوة بدر الكبرى ، وأسد الله يوم أحد ، ثم شهيد أحد •

وكانت أختهما الرابعة أم الفضل زوجة للعباس عم النبى •

وكانت أختهما الخامسة أسماء بنت عميس زوجة لجعفر بن أبى طالب ، ابن عم النبى ، وشهيد غزوة مؤتة • وقد تزوجها أبو بكر فيما بعد •

وكانت أختهما السادسة لبابة الصغرى زوجة للوليد بن المغيرة الذى كان من أئمة الكفر ، والمحاربين للاسلام • وقد أنجبا خالد بن الوليد ، سيف الله المسلول الذى لم يهزم فى معركة قط سواء فى جاهليته ؛ أو بعد اسلامه ؛ وكان بطل الفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين •

ثم كانت أختهما السابعة عصماء زوجة لأبى بن خلف ، واحدا من أئمة الكفر الذين آذوا النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واستمر يحاربه حتى قتل فى أعقاب أحـد .

ولقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، أرملة عبد الله ابن عبد الأسد صاحب الهجرتين ، وقد شهد بدرا وأحدا وكان ابن برة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

كذلك تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ابنة أميمة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنه عتبة من رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أن أخاه عتيبة تزوج أختها أم كلثوم . فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ، حاربه عمه أبو لهب حربا شرسة دفاعا عن أصنامه ودين آبائه ، وأمر ابنيه بمفارقة ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم .

فتزوج عثمان رقية بمكة ، وهاجرت معه الى الحبشة ، ثم عادا حيث توفيت فى شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة .

بعد ذلك تزوج عثمان أختها أم كلثوم ، ودخل بها فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة ، وعاشت معه الى أن توفيت فى شعبان من السنة التاسعة من الهجرة .

وتزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ...

وهكذا نجد أن الصلات الزوجية والعائلية بين النبى صلى الله عليه وسلم وكل من أصحابه وأعدائه ، كانت تمثل شبكة كبيرة متداخلة ، ذات أثر خطير فى النضال من أجل الدعوة الى الاسلام .

* *

خصوصية التشريع

ان خصوصية التشريع مبدأ مقرر فى التشريعات الدينيـة ، كمـا تؤكده الدراسـة المقارنة لهذه التشريعات • وما يعنينا فى هذا المقام هو اعطاء بعض الأمثلة التى تؤكد هذا المبدأ •

● **من شريعة موسى :**

« قال الرب لموسى : كلم **الكهنة** بنى هارون وقل لهم :

١ ــ لا يتنجس أحـد منكم لميت فى قومه ، الا لأقربائه الأقرب اليـه : أمه وأبيه وابنته وأخته • وأخته العذراء القريبة اليه التى لم تصر لرجل ؛ لأجلها يتنجس • كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه ••

٢ ــ امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخـذوا امرأة مطلقة من زوجها ، لأنه مقدس لالهه ••

٣ ــ واذا تدنست ابنـة كاهـن بالزنا فقـد دنست أباهـا • **بالنار تحرق** •

٤ ــ والكاهن الأعظم بين اخوته ، الذى صب على رأسـه دهن المسحة •• لا يأتى الى نفس ميتة **ولا يتنجس لأبيه أو أمه** ••

٥ ــ **هذا يأخذ عذراء** ، أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية ، فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخـذ عـذراء من قومـه امرأة ــ سـفر اللاويين ٢١ : ١ ــ ١٥ » •

تقرر شريعة موسى أن « **من مس ميتة انسان ما يكون نجسا سبعة أيام** •• كل من مس ميتا ميتة انسان قد مات ، ولم يتطهر ، ينجس مسكن الرب • **فتقطع تلك النفس من اسرائيل** ••

هذه هى الشريعة • اذا مات انسـان فى خيمـة ، **فكل من دخـل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام** •

وكل اناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فانه نجس (!)

وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتا ، أو عظم انسان ، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام ــ سفر العدد ١٩ : ١١ ــ ١٦ » •

فشريعة موسى صارمة فى أشياء كثيرة ، ومنها اعتبار من مس انسانا ميتا يكون نجسا ، عليه التطهير والا فعقوبته الموت قتلا •

فمن الفقرات السابقة نجد أنه :

اذا مس الاسرائيلى العادى ــ من غير الكهنة ــ ميتا ، فانه يتطهر ولا شىء عليه بعد ذلك • أما الكاهن فغير مسموح له بمس الميت الا لأقربائه الأقرب (الفقرة رقم ١) •

وأما الكاهن الأعظم ــ أو رئيس الكهنة ــ فمحرم عليه مس ميت ولو كان أباه أو أمه (الفقرة رقم ٤) •

واذا كانت الفقرة رقم (٢) لم تورد الأرملة من بين أصناف النساء اللاتى يحرم على الكاهن الزواج بهن ، ومن ثم فيسمح له أن يتزوج الأرملة ، فان الفقرة رقم (٤) قد حرمت على الكاهن الأعظم أن يفعل ذلك ، وقصرت زواجه على العذراء فقط •

كذلك تجعل شريعة موسى القتل عقوبة للزنا (سفر اللاويين ــ الاصحاح ٢٠) ، وتشتد العقوبة لتصير احراقا بالنار : « اذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة • بالنار يحرقونه واياهما ، لكى لا يكون رذيلة بينكم ــ سفر اللاوين ٢٠ : ١٤ » •

أما فى حالة زنا **ابنة الكاهن** فعقوبتها مشددة ، وهى الاحراق بالنار ، وليس القتل (الفقرة رقم ٣) •

مما سبق يتبين أنه رغم أن القضية أو الجريمة واحدة ، الا أن التشريع أو العقوبة تختلف بالنسبة للأفراد المتميزين •

**

● **فى المسيحية :**

منذ بدأ المسيح دعوته فى بنى اسرائيل وهو حريص على تأكيد التزامه بناموس موسى وتعاليم النبيين من بعده • فلقد أعلن ذلك فى مستهلها ، فى موعظة الجبل (متى ٥ : ١٧ ــ ١٩) ، كما ألزم تابعيه والمؤمنين به فى آخر لقاء جماهيرى له ، بتنفيذ كل ما يقوله الكتبة والفريسيون باعتبارهم القائمين على أمر شريعة موسى (متى ٢٣ : ١ ــ ٣) •

وبعد سنوات من رحيل المسيح ، **ظهر بولس اليهودى فجأة بين التلاميذ** • ولما جاء الى أورشليم « حاول أن يلتصق بالتلاميذ • وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ • فأخذه **برنابا** وأحضره الى الرسل ــ أعمال الرسل ٩ : ٢٦ ــ ٢٧ » •

ثم استطاع أن يجعل نفسه رسول المسيحية الأكبر ومشرعها ، فأفتى بآرائه الشخصية فى الكثير من القضايا التى لا تزال تثير جدلا حتى الآن • وقد اعترف بذلك صراحة فى رسائله ، كما اعترف **بانه يظن ان عنده روح الله** ــ فقال :

« **أما الباقون فاقول لهم انا ، لا الرب :** ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها ••

أما العذارى **فليس عندى امر من الرب فيهن ، ولكنى اعطى رايا** ــ (١) كورنثوس ٧ : ١٢ ، ٢٥ » •

« لست أقول هذا على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين ••• **اعطى رايا فى هذا ايضا** ، لأن هذا ينفعكم ــ(٢) كورنثوس ٨:٨،١٠»•

« **واظن انى انا ايضا عندى روح الله** ــ (١) كورنثوس ٧ : ٤ » •

ثم كان من تشريع بولس أن أحل لنفسه كل الأشياء ، فقال :

« **كل الاشياء تحل لى** ، لكن ليس كل الأشياء توافق •

كل الاشياء تحل لى ، لكن لا يتسلط على شىء ••

كل الأشياء تحل لى ، لكن ليس كل الأشياء توافق •

كل الاشياء تحل لى ، ولكن ليس كل الأشياء تبنى ــ (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » • •

ان شريعة موسى ، بل وكل الشرائع ، تعلم متبعيها أن هناك : حلالا وحراما ، وهناك طاهرا ونجسا ، وعلى كل مؤمن بها أن يعرف هذا وذاك : « للتمييز بين المقدس والمحلل ، وبين النجس والطاهر • ولتعليم بنى اسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها ، بيد موسى ــ سفر اللاويين ١٠ : ١٠ ــ ١١» •

ولقد كان من نتاج قول بولس فى تحليل كل الأشياء له ، أن اندفع أهل كورنثوس فى طريق الزنا الفاحش وارتكاب الموبقات • وفى هذا يقول المفسرون ، على استحياء ، تعليقا على تشريع بولس فى تحليل كل شىء له : « **ربما كان هذا القول من أقوال بولس اخذه بعض اهل قورنتس فتوسعوا فى تفسيره ، حتى وصلوا الى حد الاباحية** »(١) •

على أن ما يعنينا الآن ، هو تأكيد مبدأ خصوصية التشريع فى المسيحية • فلقد أحل بولس كل الأشياء لنفسه ، وان بقى بعضها محرما على غيره •

* *

● **فى الاسلام :**

١ ــ حذر الله نبيه من الركون الى فتنة الكفار ، فقد يعرضون عليه عروضا فيها مكر ومداهنة ، كاقتراح حل وسط ــ بزعمهم ــ بين الشرك والتوحيد ، وأشباه ذلك من أحابيل الشيطان التى لا تنتهى • فقد « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،

---

(١) العهد الجديد ــ منشورات دار المشرق ــ بيروت .

وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه . وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ (سورة الكافرون)[1] .

ولقد عرف الله نبيه حقيقة أمرهم ، فقال : **﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾** (القلم : ٨ ــ ٩) .

وكان أمر الله اليه صريحا أن يبلغ الرسالة ويجابه المشركين دون تردد ، فقال سبحانه :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (المائدة : ٦٧) .

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) .

فاذا فتن المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، كان عذابه مضاعفا :

﴿ اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٥) .

الحق أن هذه الآيات لجديرة بالتدبر من جانب المكذبين ، فوجودها فى القرآن بهذه الصيغة ، آية حق وصدق : القرآن حق ، والرسول صلى الله عليه وسلم صادق .

ان الفتنة والاختبار قاعدة عامة يتعرض لها كل الناس ، وعلى

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ــ ص ٧٨

رأسهم الأنبياء : يفتنون فى أنفسهم ويفتنون فى عالمهم المحيط بهم من كل جانب .

وها هو المسيح قد تعرض للفتنة من الشيطان ، لكنه استعصم بما حفظه من التوراة ، وبما علمه الله ، فمرت التجربة بسلام .

« **أصعد يسوع الى البرية ليجرب من ابليس** . فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة ، جاع أخيرا . فتقدم اليه المجرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا . فأجاب وقال : **مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله** .

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٨ : ٣) .

ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل . **لانه مكتوب انه يوصى ملائكته بك ،** فعلى أيديهم يحملونك لكى تصدم بحجر رجلك .

قال له يسوع : **مكتوب أيضا ، لا تجرب الرب الهك** .

(والمكتوب الذى أشار اليه ابليس جاء فى المزمور ٩١ : ١١ ــ ١٢ أما المكتوب الذى أشار اليه المسيح فقد جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٦) .

ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها . وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى .

حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان . **لانه مكتوب : للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد** .

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ ــ سفر يشوع ٢٤ : ١٤ ــ وسفر صموئيل الأول ٧ : ٣) .

« ثم تركه ابليس ــ انجيل متى ٤ : ١ ــ ١١ » .

« ولما أكمل ابليس كل تجربة ، **فارقه الى حين** ـ انجيل لوقا ٤ : ١٣ » .

٢ ـ أنذر الله زوجات النبى صلى الله عليه وسلم بمضاعفة العذاب عقابا لما قد يقع منهن من خطايا كبرى وفواحش ، فهن لسن مثل باقى النساء من هذا الجانب . انهن زوجات نبى يأتيه وحى الله وصاحب رسالة كبرى للناس أجمعين ، فليعرفن موقعهن جيدا ، وليترفعن عن كل صغار يتدنى اليه غيرهن من النساء ، فقال سبحانه :

﴿ يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (الأحزاب : ٣٠) .

واقتضى عدل الله ورحمته أن يكون ثوابهن مضاعفا حين يستقمن على أمر الله وشرعه ، فقال سبحانه :

﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ﴾ (الأحزاب : ٣١) .

٣ ـ حرم الله على نبيه التزوج بغير من كن معه ، وقد توقف صلى الله عليه وسلم عن أخذ زوجات أخريات منذ نزول هذا الأمر الالهى حتى نهاية حياته ، ولمدة أكثر من ثلاث سنوات ، فقال سبحانه :

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شىء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢)

٤ ـ نزلت بعد ذلك آية تحديد الزوجات بما لا يتعدى أربعا ، مع تفضيل الاكتفاء بزوجة واحدة مخافة عدم العدل بينهن :

﴿ وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ، ذلك ادنى الا تعولوا ﴾ (النساء : ٣) .

« وقد كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ، فعرض عليهن المفارقة مع المتاع لمعاشهن ، فلم تقبل أيتهن أن تدع المفخرة أن تكون أم المؤمنين ، فأبقاهن كلهن برخصة من الله حبالة نكاحة بشرط ألا يطأ الا الأربع منهن ، فقبلن الشرط »[1] وقد كان ذلك اكراما لهن ، قرت به أعينهن ، وذلك استقامة مع قول الله سبحانه الى نبيه :

﴿ ترجى من تشاء منهن وتؤى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليما حليما ﴾
(الأحزاب : ٥١)

ويقول **القرطبى** فى تفسير هذه الآية : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسائه ، فقلن له : اقسم لنا ما شئت . فكان ممن آوى عائشة ، **وحفصة ، وام سلمة ، وزينب** ، فكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن . وكان ممن أرجى : سودة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وصفية » .

هذا ــ ولما كانت شريعة موسى تحرم على الكاهن ــ كما رأينا ــ أن يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان داود نبيا حل عليه « روح الرب » منذ مسحه صموئيل ، وكان يقول فى وحيه : « روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى » ، فهو اذن أكبر من كاهن ، بل انه الذى يعين الكاهن الأكبر أو يعفيه ، ومن ثم تفرض عليه شريعة موسى ألا يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان ابنه أبشالوم قد زنى بسرارى أبيه العشر اللاتى أبقاهن أبوه لحفظ البيت ابان ثورة ابنه ضده ، فقد وجب على داود أن يفارقهن فورا ويقطع صلته بهن ، وفقا لشريعة موسى .

لكن ما فعله داود هو أن أبقاهن فى بيته « وكان يعولهن ولكن

---

(١) سيرة ابن هشام ص ٢٤٩ (تعليق المحقق محمد حميد الله) .

لم يدخل اليهن » ، وذلك اكراما لهن حتى لا يتعرضن لمهانات أخرى ، أو يقعن تحت رجل آخر بعد أن كن تحت داود مسيح الرب .

*

ان خصوصية التشريع ـ اذن ـ تفتح بصيرة الناس لتفهم ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ونسائه ، فتسمو بتفكيرهم بعيدا عن التدنى وسوء الظن ، وتنقذهم بذلك من عقاب الهى دونه عقاب مريم وهارون حين عابا على موسى تعدد زوجاته باتخاذه امرأة كوشية .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أبقى النبى صلى الله عليه وسلم نساءه فى بيته دون تسريح ، اكراما لهن ، وقد رفعت أقدارهن بعد أن صرن « أمهات المؤمنين » ، ومن ثم حرم الله الزواج بهن من بعده ، فقال سبحانه : ﴿ **النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وأزواجه أمهاتهم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا** ﴾ (الأحزاب : ٦)

﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما** ﴾ (الأحزاب : ٥٣) .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، فرض على النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل الا قليلا ، وذلك منذ أوائل نزول الوحى بالقرآن ، وقبل أن تفرض الصلاة على أمته ، فكان أمر الله اليه : ﴿ **يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (المزمل : ١ ـ ٥) .

وكذلك فرض على النبى صلى الله عليه وسلم التهجد بالليل ، فيقوم للصلاة بعد نوم : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ (الاسراء : ٧٩) .

وذكر ابن كثير فى معنى قوله تعالى : ﴿ **نافلة لك** ﴾ :

« أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبا فى حقه دون الأمة » .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم صوم الوصال ، أى يصل يوما بيوم آخر أو أكثر دون أن يفطر ، لكنه نهى المسلمين عن ذلك . يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل** ﴾ (البقرة : ١٨٧) : « عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تواصلوا** . قالوا : يا رسول الله ، انك تواصل . قال : « فانى لست مثلكم ، انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : انك تواصل . قال : « انى لست كهيئتكم ، انى يطعمنى ربى ويسقينى » .

فقد ثبت النهى عنه من غير وجه ، وثبت انه من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم » .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث ، وذلك خلافا لما عليه حال بقية المسلمين الذين حدد الله لكل منهم نصيبا مفروضا . فقد قال أبو بكر : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انا لا نورث ، ما تركناه صدقة » .

وعن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما . ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فانه صدقة »[1] .

*

---

(١) نهاية الأرب ص ٣٩٦

مما سبق يتبين أن ابقاء النبى صلى الله عليه وسلم على زوجاته دون مفارقة لمن زدن عن أربع ، انما يتفق وخصوصية التشريع ، ويقدم أفضل مواءمة بين تشريع القصر على أربع نساء آواهن اليه هن : عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش ، وبين الابقاء على الأخريات بمقتضى خصوصية التشريع المعمول بها فى الشرائع السابقة ، والتى يلاحظ **أنها جاءت فى الاسلام لتلقى على النبى صلى الله عليه وسلم اعباء واجهادات شتى ، فكانت بحساب الدنيويات مغرما ، لا مغنما ، وكانت مشقات ومسئوليات .**

**

● **هؤلاء المراؤون ...**

لقد رأينا أن تعدد زوجات محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا فى سلوك الأنبياء ورجال الوحى الالهى • ولم تكن واحدة منهن دافع نزوة طارئة ، أو شهوة جامحة كتلك التى أصابت داود حين رأى بشبع عارية وهى تستحم ، ففقد السيطرة على نفسه تماما (كما ورد فى كتابهم المقدس) • ولقد كانت عنده الفرصة كاملة أن يضبط نفسه خلال الفترة الزمنية التى استغرقتها عملية ارسال رجاله لاحضارها اليه ، بعد أن تنتهى من غسلها ، وترتدى ملابسها ، وتهبط من سطح منزلها ... الخ • ان أقل من تلك الفترة كاف لاعادة التوازن النفسى الى رجال أقل من داود كثيرا فى مقام القربية من الله ، رجال يقول فيهم القرآن الكريم : **﴿ اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾** (الأعراف : ٢٠١)

ولقد أجمعت الروايات المتناقضة التى تحدثت عن قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ، على أنه أصر على أن يبقيها زيد فى عصمته ولا يطلقها • فماذا يريد الخائضون فى هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعل أكثر من هذا ! ولكن ما الحيلة فى القلوب المريضة ! انها قلوب ليس لها من شفاء **الا يوم الحسرة ...**

ان تاريخ الأنبياء حافل بتلك المواقف وأشباهها • فمن قبل كان يحيى معتزلا الناس ، عازفا عن الدنيا ، شديدا على نفسه ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل • ولما كان المسيح يخالط الناس ويتناول من صنوف الطعام والشراب ما يشبع شهواته ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل أيضا • فقد قال لتلاميذه « **شهوة اشتهيت ان آكل هذا الفصح معكم .. ثم تناول كاسا (من الخمر) وشكر** وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم ــ لوقا ٢٢ : ١٤ ــ ١٦ » ، وفى هذا يقول الانجيل على لسان المسيح : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون به شيطان • جاء ابن الانسان (المسيح) يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر ــ متى ١١ : ١٨ ــ ١٩» •

ويقول **جون فنتون** فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح الى التوبة ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما • فاليهود يشبهون أولادا سيئى المزاج مثيرين للخصام ، لا يعجبهم شيء • لقد عاش يوحنا بينهم ناسكا متقشفا فقالوا به شيطان ، ولما لم يكن المسيح متقشفا فقد قالوا انه ماجن ملحد »[1] •

*

وكما أنه : **لا حياء فى العلم** ، حيث يتعلم الدارسون تكوين الأعضاء الجنسية وتشريحها ووظائفها ، كذلك : **لا حياء فى الدين** ، حيث توجد تعاليم وآداب : يجب على المؤمن اتباعها حين يمارس الجنس ممارسة شرعية ، فتتحقق بذلك الاستفادة الكاملة من حكمة خلق « **الزوجين : الذكر والانثى** » ، ويرتقى الانسان بغريزته هذه حين يمارسها تحت ضوابط وقيم ، فلا يغفل خلال لحظاتها عن أداء ما عليه من واجبات • لا حرج ــ اذن ــ أن نذكر تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الجانب الخطير من حياة البشر ، والذى تكون ثمرته

---

(1) J. Fenton : Saint Matthew, p. 180.

مولد انسان ... الانسان أعظم اختراع ؛ الذى كرمه الله بالخلافة ، وسخر له كل ما فى الكون ؛ اذ يقول **الحق** فى قرآنه : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ (الجاثية : ١٣) .

يقول **أبو حامد الغزالى** فيما استخلصه من تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم فى **آداب الجماع** : « يستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ، ويقرأ : **قل هو الله أحد** ـ أولا ، ويكبر (يقول : الله أكبر) ويهلل (يقول : لا اله الا الله) ، ويقول : بسم الله العلى العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى ..

واذا قربت من الانزال ، فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله ﴿ **الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا** ﴾ (الفرقان : ٥٤)

وليغط نفسه وأهله بثوب . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويغض صوته .. وفى الخبر (حديث ابن ماجه) : (اذا جامع أحدكم أهله ، فلا يتجردان تجرد العيرين) أى الحمارين . ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها .. ثم القعود عنها ايذاء لها .. فانها ربما تستحى »[1] .

والعدل بين النساء واجب مفروض ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل »[2] .

*

ان الغذاء ضرورة للابقاء على حياة الانسان ، لكن ممارسة الجنس ضرورة للابقاء على نوع الانسان واستمرار بقائه على وجه

---

(١) احياء علوم الدين ـ الجزء الرابع ص ٧٢٣
(٢) المرجع السابق ص ٧٣٠

الأرض • ومن هنا كانت ممارسة الجنس وفق شريعة الله ـ بالزواج ـ بناء حياة ، وضرورة جسد ، وسكن نفس ، ومن ثم كانت نعمة تفضل الله بها على عباده ، فأعطى كل زوج زوجه المقابل • فحين استسلم داود لشهوته أمام تلك المرأة العارية وزنى بها ثم تآمر على زوجها فقتله بسكيدة فى الحرب (حسب رواية كتابهم المقدس) جاءه التبكيت من النبى ناثان يذكره بما أعطاه الله من أنعم ، فيقول له « هكذا قال الرب له اسرائيل : أنا مسحتك ملكا على اسرائيل (**نعمة اولى**) ... وأنقذتك من يد شاول (**نعمة ثانية**) .. وأعطيتك بيت سيدك (**نعمة ثالثة**) ... **ونساء سيدك فى حضنك (نعمة رابعة)** ...

لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه ، قد قتلت أوريا الحثى بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة ... ـ صموئيل الثانى ١٢ : ٧ ـ ٩ » •

ان ممارسة الجنس شرعا ـ بالزواج أو التسرى ـ هى بمقتضى نصوص **الكتاب المقدس** نعمة تستوجب شكر الله • فما بال أقوام من المنافقين ، همزة لمزة ، جعلوا من تعدد نساء محمد صلى الله عليه وسلم أحاديثهم الصاخبة ، ومزاميرهم البالية ، ينعقون بها صباح مساء ، عبر القرون ! آن لهم أن يرجعوا الى **الكتاب** يقرأون فيه تبكيت المسيح لهم ولأمثالهم :

« لا تدينوا لكى لا تدانوا • لأنكم بالدينونة التى بها تدينون ، تدانون • وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم •

ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها • أم كيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك •

يا مرائى ! أخرج أولا الخشبة من عينك ـ متى ٧ : ١ ـ ٥ » •

* * *